المغول والمماليك
في عهد دولة بني قلاوون

٦٧٨هـ — ٧٨٤هـ / ١٢٧٩م — ١٣٨٢م

دكتور أحمد عبد الكريم سليمان

كلية التربية بالفيوم (جامعة القاهره)

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م

صدقة جارية على روح مؤلف الكتاب

تصوير محمد عبدالشفيع عاشور

دار النهضة العربية

للطبع والنشر والتوزيع

Scanned with CamScanner

المغول والمماليك
في عهد دولة بني قلاوون

٦٧٨هـ — ٧٨٤هـ / ١٢٧٩م — ١٣٨٢م

دكتور أحمد عبد الكريم سليمان

كلية التربية بالفيوم (جامعة القاهره)

الطبعـــة الأولى

١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م

دار النهضة العربية

للطبع والنشر والتوزيع

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

Scanned with CamScanner

محتويات الكتاب

(١) الفصل الأول

صفحة

مقدمة . . . . . ٩ — ١٠

المغول والمماليك فى عهد المنصور قلاوون والأشرف خليل
٦٧٨هـ — ٦٩٣هـ / ١٢٧٧م — ١٢٩٣م . . . . . ١١ — ٤٠

أ — قلاوون وابغا بن هولاكو . . . . . ١٣ — ١٩

فرار سنقر الأشقر الى ابغا وتحريضه على غزو الشام . ١٤ — ١٦

هجوم المغول على حلب سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م ١٦

قلاوون والصليبيون فى الشام . . . . . ١٦ — ١٧

هجوم منكوتمر بن هولاكو على بلاد الشام سنة ٦٨٠هـ/
١٢٨١م وانتصار المماليك فى معركة حمص . . . . ١٧ — ١٩

ب — قلاوون وأحمد تكودار . . . . . ١٩ — ٢١

اسلام أحمد تكودار وسفارته الى قلاوون . . . . ١٩ — ٢٠

سياسة تكودار فى المغول والثورة عليه . . . . ٢٠ — ٢١

جـ — قلاوون وأرغون بن أبغا : . . . . . ٢١ — ٣١

سياسة أرغون المعادية للاسلام والمسلمين . . . ٢٢ — ٢٣

أرغون والقوى الأوربية . . . . . ٢٤ — ٢٧

قلاوون ومغول القبيلة الذهبية ٢٨

قلاوون والقوى الأوربية . . . . . ٢٨ — ٢٩

قلاوون والصليبيون فى الشام . . . . . ٢٩ — ٣١

Scanned with CamScanner

صفحة

د — الأشرف خليل بن قلاوون والمغول : . . . . . ٣١ — ٤٠
الأشرف خليل والصليبيون فى الشام ٣١
الأشرف خليل وكيخاتو . . . . . ٣٢ — ٣٤
الاضطرابات الداخلية فى فارس واستيلاء غازان على الحكم ٣٤ — ٣٥
سياسة غازان فى المغول واثرها . . . . . ٣٦ — ٣٨
الاضطرابات الداخلية فى مصر ومقتل الأشرف خليل ٣٨ — ٤٠

(٢) الفصل الثانى

المغول والمماليك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون

الفترة الثانية من حكمه : ٦٩٨هـ — ٧٨هـ/١٢٩٩م — ١٣٠٩م . ٤١ — ٦٦

أ — الناصر محمد بن قلاوون وغازان . . . . . ٤٣ — ٦١
عودة الناصر محمد بن قلاوون الى الحكم سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م ٤٣ — ٤٤
ثورة سلامش ضد غازان وأثرها . . . . . ٤٥ — ٤٦
انتصار غازان على الناصر محمد فى مروج حمص سنة
٦٩٩هـ / ١٢٩٩م . . . . . ٤٧ — ٥٠
موقف القوى الأوربية ٥٠
عودة السيادة المملوكية على بلاد الشام . . . . . ٥١ — ٥٣
فشل حملة أخرى لغازان على بلاد الشام فى شتاء
سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م . . . . . ٥٣ — ٥٦
انتصار المماليك على القائد المغولى قطلوشاه فى شقحب
عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م . . . . . ٥٦ — ٦٠
غازان والقوى الأوربية . . . . . ٦٠ — ٦١

ب — الناصر محمد بن قلاوون وأولجايتو « خدابندا » . . . ٦١ — ٦٦
أولجايتو والقوى الأوربية . . . . . ٦٢ — ٦٣
محاولات الصلح بين أولجايتو والناصر محمد . . ٦٤
توتر العلاقات بين أولجايتو والناصر محمد . . . ٦٤ — ٦٥
تضاؤل نفوذ الناصر فى مصر واعتزاله الحكم فى رمضان سنة
٧٠٨هـ / مارس ١٣٠٩م . . . . . ٦٥ — ٦٦

Scanned with CamScanner

(٣) الفصـــل الثالث

المغول والمماليك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . . ٦٧ — ٩٣
الفترة الثالثة من حكمه ٧٠٩هـ — ٧٤١هـ/١٣١٠م — ١٣٤١م .

صفحة

أ — الناصر محمد بن قلاوون وأولجايتو « خدابندا » . . . ٦٩ — ٧٤
الاضطرابات الداخلية فى فارس وأثرها . . . . . ٦٩ — ٧٠
هروب بعض الأمراء المماليك — قراسنقر وجمال الدين الأقوش
الى أولجـــايتو ٧١
فشل حملة خدابندا على الرحبة ســـنة ٧١٢هـ / ١٣١٣م
والصلح مع الناصر محمد . . . . . ٧١ — ٧٢
توتر العلاقات مرة أخرى بين الناصر وخدابندا . . . . ٧٢ — ٧٣
الناصر محمد ومغول القفجاق . . . . . ٧٣ — ٧٤

ب — الناصر محمد وأبو ســـعيد : . . . . . ٧٥ — ٨٩
الاضطرابات الداخليـــة فى فارس . . . . . ٧٥ — ٧٦
الأقطار الخارجية على مغول فارس . . . . . ٧٦ — ٧٧
الناصر محمد ومملكة أرمينيا ٧٧
توتر العلاقات بن الناصر وأبى سعيد . . . . . ٧٧ — ٧٨
الصلح بين الناصر وأبى سعيد ونتائجه . . . . . ٧٨ — ٨٠
حملة الناصر على مملكة أرمينيا . . . . . ٨٠ — ٨١
موقف البابوية من هذه الحملة ٨١
الاضطرابات الداخلية فى فارس — الحرب الأهلية بين أبى
سعيد وجـــوبان . . . . . ٨٢ — ٨٥
الناصر محمد ومغول القفجاق . . . . . ٦٥ — ٨٦
وفاة أبى سعيد وتفكك دولة مغول فارس . . . . . ٨٧ — ٨٩

جـ — أبناء الناصر محمد بن قلاوون ودويلات مغول فارس حتـــى
ظهور تيمورلنك . . . . . ٨٩ — ٩٣
خاتمـــــة . . . . . ٩٣ — ٩٥
المصادر والمراجع والخـــرائط . . . . . ٩٧ — ١٠٩

Scanned with CamScanner

مقدمة

تمثل دولة بنى قلاوون ٦٧٨هـ — ٧٨٤هـ / ١٢٧٩م — ١٣٨٢م فترة مهمة من فترات العصر المملوكى فى مصر ، فقد قاد سلاطين تلك الدولة نضالا شاقا ضد الخطرين اللذين دهما العالم الاسلامى فى العصور الوسطى وهما : الخطر الصليبى ، والخطر المغولى • وفيما يتعلق بالخطر الأول فقد نجح السلطان قلاوون وأبناؤه فى القضاء على مانيقى من كيانات صليبية فى بلاد الشام ، وذلك باستيلاء المنصور قلاوون على طرابلس سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م ثم استيلاء ابنه الأشرف خليل على عكا سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م •

أما المغول فقد ظلت فكرة الغزو العسكرى تراود قادتهم للاستيلاء على بلاد الشام بعد هزيمتهم على يد المماليك فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م • وبذل الايلخانيون حكام فارس المحاولة تلو الأخرى من أجل تحقيق ذلك الهدف ، وحولوا اشراك القوى الأوربية معهم فى حملة صليبية مغولية مشتركة ضد المماليك • ولم تتوقف تلك المحاولات من جانب مغول فارس بعد اعتناق حكامهم الاسلام ودخول دولتهم فى عداد الدول الاسلامية منذ عهد غازان ٦٩٤هـ — ٧٠٣هـ / ١٢٩٤م — ١٣٠٤م • غير أن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح ، كما تعرض المغول لهزائم أخرى على يد المماليك من أسرة بنى قلاوون أكثر قسوة من هزيمة عين جالوت • فقد انتصر السلطان قلاوون على مغول فارس فى حمص سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م ، كما الحق بهم الناصر محمد بن قلاوون هزيمة أخرى فى مرج الصفر (شقحب) عام ٧٠٢ هـ/١٣٠٣ م • وهكذا ظل الخطر المغولى يحظى بالاهتمام الأكبر من جانب سلاطين أسرة بنى قلاوون حتى

Scanned with CamScanner

تم الصلح بين أبى سعيد ايلخان فارس والناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢١م .

واذا كانت العلاقات بين أسرة قلاوون ومغول فارس قد ظلت عدائية الطابع استمرارا لما كان الحال عليه فى عهد الظاهر بيبرس ، فان العلاقات مع دولة أخرى من المغول وهى دولة القبيلة الذهبية أو مغول القفجاق استمرت ودية نظرا للعلاقات التجارية بين الجانبين وحاجتهما الى التحالف فى وجه عدوهما المشترك المتمثل فى دولة مغول فارس .

وبالرغم من أهمية تلك الفترة الحاسمة من تاريخ مصر الا أن الدراسات الجادة التى تناولتها لا تزال غير كافية . وقد حاولت فى هذا البحث مستفيدا من مختلف المصادر الفارسية والعربية والمراجع الحديثة ، حاولت توضيح تفاصيل سياسة أسرة بنى قلاوون تجاه دولتى المغول ورسم صورة شاملة للموضوع بأسره خلال تلك الفترة ، مشيرا الى دور القوى الصليبية فى بلاد الشام وموقف أسرة بنى قلاوون فيها ، وكذلك محاولات ايلخانات فارس التحالف مع القوى الأوربية ضد المماليك ونتائج تلك المحاولات . وأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت اليه .

والله ولى التوفيق .

د. أحمد عبد الكريم سليمان

Scanned with CamScanner

الفصل الأول

المغول والمماليك فى عهد المنصور قلاوون والأشرف خليل

٦٧٨هـ – ٦٩٣هـ / ١٢٧٧ – ١٢٩٣م

قلاوون وأبغا بن هولاكو

قلاوون وأحمد تكودار

قلاوون وأرغون بن أبغا

الأشرف خليل بن قلاوون والمغـــول

Scanned with CamScanner

الفصـــل الأول

المغول والمماليك فى عهد المنصور قلاوون والأشرف خليل

٦٧٨هـ ــ ٦٩٣هـ / ١٢٧٧م ــ ١٢٩٣م

المنصـــور قلاوون وأبغا بن هولاكو :

توفى الظاهر بيبرس فى المحرم من سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ولم تنجح أسرته فى الأحتفاظ بالعرش لفترة طويلة ، اذ خلع ابناه السعيد بركة ثم العادل سلامش بعد فترة قصيرة[١] ، وأصبح الأمير سيف الدين قلاوون الألفى سلطانا وتلقب بالملك المنصور وذلك فى رجب من ســـنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م[٢] . وكما هى العادة فى نظام المماليك لم يستقر الأمر بســـهولة للسلطان الجديد ، فخرج على طاعته الأمير سنقر الأشقر نائب الشـــام

---

(١) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر جـ٤ ص١٠ ــ ١٢ ،

ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٧٤ ــ ٢٧٥ ، ٢٨٧ ــ ٢٨٨ ،

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) والملك المنصور قلاوون من جنس القفجاق ، جلب الى مصر وهو صغير ، واشتراه الأمير علاء اقسنقر أحد مماليك العادل أبى بكر بن أيوب بألف دينار فعرف من أجل ذلك بالألفى . وبعد موت أستاذه علاء الدين انتقل الى خدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب وأصبح من جملة المماليك البحرية ، وظل كذلك طيلة عهد شجر الدر . ولما قام المعز أيبك فى الحكم وقتل الفارس أقطاى خرج قلاوون مع من خرج من مصر من البحرية ، ثم تقلبت به الأحوال حتى أصبح « أتابك العسكر » بديار مصر فى عهد سلطنة العادل سلامش بن الظاهر بيبرس ، ثم غلب على العادل سلامش وتولى الحكم .

أنظر : المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ ق٣ ص٦٣٣ ،

ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ٢ ص٢٦٩ ــ ٢٧٠ .

Scanned with CamScanner

وأعلن نفسه سلطانا وتلقب بالملك الكامل[٣] ، وانضم اليه فى الفتنة رؤساء قبائل العربان فى الشام • وبات الأمر خطيرا بالنسبة للمنصور قلاوون . اذ أصبح نصف مملكته فى يد الخارجين على طاعته • وقرر المنصور القضاء على الفتنة بأسرع مايكون قبل أن تتفاقم الأمور ، فخرجت جيوشه بقيادة الأمير علم الدين سنجر الحلبى وأوقعت بالثوار الهزيمة ، ففر سنقر الأشقر فى خواصه الى الرحبة[٤] ، ولما امتنع أميرها عن تسليم قلعة الرحبة اليه ويئس سنقر من الحصول على ملجأ آمن كتب الى ايلخان المغول أبغا بن هولاكو يحثه على غزو الشام ، وكتب معه أيضا الأمير عيسى بن مهنا بمثل ذلك[٥] . فأسرع علاء الدين حاكم بغداد من قبل أبغا بارسال دعوة الى الثائرين يطلب منهما الدخول فى طاعة أبغا ، لكن سنقر

---

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى ايام المنصور وبنيه جـ ١ ص ٥٢ ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٤١٠ — ٤١١ . ،

أبو الفدا : المصدر السابق جـ٤ ص١٣ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٧ ص٢٩٤ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٨٩ ،

S. Lane Poole, A history of Egypt in the Middle ages p. 278.

(٤) أبو الفدا : المصدر السابق جـ٤ ص١٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ٧ ص١٧٠ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٩١ ، ابن طولون : اعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى تحقيق عبد العظيم خطاب القسم الثانى ص٨ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ٣ ص٦٧٧—٦٧٨ ، ابن الفوطى المصدر السابق ص٤١٢ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص٥٠٣ . أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص١٣ ، ابن الفرات : المصدر السابق مجلد ٧ ص١٧٢ ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ٩ تحقيق قد. زبيدة محمد عطا ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب جامعة القاهرة ص ١٨٥ ، ابن الوردى تتمة المختصر جـ٢ ص٣٢٥ ، د. سرور : دولة بنى قلاوون ص٢٣ ، عباس عزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين جـ ١ ص ٢٩٨—٢٩٩ ،

Wiet, G. L'Egypte Arabe. p. 444.

Scanned with CamScanner

الأشقر فضل الاستيلاء على حصن صهيون والاقامة به مع قواته[٦] .

واعتقد أبغا الذى كان بوذيا مثل والده هولاكو ، ومناصرا للمسيحيين الشرقيين فضلا عن اتصالاته مع الغرب الأوربى للتحالف ضد المماليك ، اعتقد أن الفرصة مواتية للانتقام من المماليك والثأر لهزائم المغول السابقة فى عين جالوت والبيرة والأبلستين . فاستجاب لنداء الثائرين على قلاوون ، وهاجمت قوات المغول بلاد الشام فى جمادى الآخرة ٦٧٩هـ / أكتوبر ١٢٨٠م من ناحيتى الشمال والشرق[٧] ، كما اشترك فى الهجوم أيضا ديمترى Dimitri ملك جورجيا مع قواته[٨] . واضطربت الأمور فى مدن الشام وعزم سكانها على الرحيل منها الى مصر ، ولم تفلح قوات المماليك فى ايقاف الهجوم المغولى لأن قوات الشام تجمعت بعيدا فى حماه مع القوات التى وصلت من مصر ، وأخذت فى مراسلة سنقر الأشقر كى يعود الى الطاعة والاجتماع على قتال العدو . أما السلطان قلاوون فقد تأخر خروجه من القاهرة على رأس قوته ، فلما وصل غزة فى

---

6. Moufazzal Ibn Abil-Fazil, Histoire des Sultans Mamlouks, Texte Arabe Publie et traduit en francais par E. Blochet, Introduction, p. 388-389; Howorth, History of the Mongols, Part III, p. 266-267.

(٧) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق ٣ص٦٨١ ، ابن الفرات : المصدر السابق مجلد ٧ ص١٨٥ ، وعن اتصالات أبغا بالقوى الأوربية أنظر : عباس عزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين جـ١ ص٣٠١ ،

Grousset, L'Empire des steppes; P. 375, 445;

Cambridge History of Iran, Vol. 5, p. 363;

وعن هزائم المغول فى عين جالوت والبيرة والابلستين أنظر :

المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٢ ص٤٣١ ، ٦٠٥ — ٦٠٧ ، ٦٢٩ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ١ ص٣١٣ — ٣١٦ ، جـ٢ ص٢٦ ،

S. Lane poole, op. cit., p. 270-271.

8. Howorth, op. cit., p. III, p. 267.

Scanned with CamScanner

أوائل شعبان كان المغول قد أتموا مهمتهم وعادوا الى بلادهم[٩] . وهكذا هاجم المغول المناطق التابعة لحلب واستولوا على عين تاب وبغراص ودربساك ثم اقتحموا مدينة حلب ذاتها وقد خلت من القوات المدافعة عنها فقتل المغول وسبوا من سكانها الكثير ثم نهبوا وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء ثم انسحبوا[١٠] .

وأدرك السلطان قلاوون أنه لابد من ضمان حياد الصليبيين قبل الدخول فى حرب كبيرة ضد المغول تأمينا لخطوطه الخلفية ، فأمر نائبه فى حصن الأكراد بالشام بالاغارة على الاسبتارية فى حصن المرقب لاجبارهم على تجديد المعاهدة التى عقدت فى عهد الظاهر بيبرس ، وبوجه خاص بعد أن قام هؤلاء الصليبيون بمساعدة المغول فى الهجوم الأخير على حلب . ولما فشل هجوم نائب حصن الأكراد سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م ومنيت قوات المماليك بخسائر كبيرة[١١] ، استشاط السلطان غضبا وتجهز

---

(٩) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٦٨١ — ٦٨٣ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ١ ص٥٩ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٧ ص٢٩٨ — ٣٠٠ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 268.

(١٠) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٦٨٢ ، ابن الفرات : المصدر السابق مجلد ٧ ص١٨٦ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص٥٠٣ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٧ ص٣٠٠ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٩٢ د. عبد السلام فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص١٦٢ ، د. فايد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى ص١٥ ، د. سرور : المرجع السابق ص١٦٢ ، د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص١١٦٥ .

Grousset, L'Empire des steppes, p. 445; Wiet, op. cit., p. 445;

Howorth, op. cit., p. 111, p. 267-268.

(١١) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٦٨٤ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٩٣ ، بيبرس الدوادار ، المصدر السابق المجلد الأول ص١٩٤ — ١٩٥ ، فايد عاشور : المرجع السابق ص١١٦ ،

wiet, op. cit., p. 445.

Scanned with CamScanner

بنفسه للسفر الى الشام ، وما أن وصل الى ساحل فلسطين فى أوائل المحرم من عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١م حتى أسرع الصليبيون فى عكا وطرابلس الى طلب عقد الهدنة • ويبدو أن السلطان قلاوون قد وصلته آنذاك أخبار عن تحرك جديد للمغول فى اتجاه بلاد الشام فوافق على تجديد الهدنة مع الصليبيين لمدة عشر سنوات(*) •

وصحت أخبار هجوم المغول ، فقد زحفوا بقوات ضخمة فى اتجاهين: الأول ناحية الرحبة وقاد الهجوم فيه أبغا بنفسه على رأس قواته ، والثانى ناحية حماه وقاد العمليات العسكرية فيه منكوتمر بن هولاكو ، وضمت قوات منكوتمر حوالى ثمانين ألفا من المغول والكرج والروم والأرمن والفرنجة • وعندما علم السلطان قلاوون بذلك عبأ جيشه ، كما قدمت اليه قوات سنقر الأشقر من حصن صهيون بعد أن عاد الى الطاعة • ومع أن قوات المغول وحلفائهم كانت تقريبا ضعف قوات المماليك الا أن نتيجة المعركة التى وقعت بين الجانبين فى رجب سنة ٦٨٠هـ / أكتوبر ١٢٨١ م فى سهل حمص بالقرب من مشهد خالد بن الوليد كانت نصرا حاسما للمماليك • ويبدو أن الخليط المتنافر فى جيش المغول قد جعل التعاون بين مختلف عناصره صعبا ، فحاقت الهزيمة بمنكوتمر وجرح ولاذ بالفرار ثم تبع ذلك هزيمة ميمنة المغول ولحقت به(١٢) • وهرب المغول فى اتجاه

(*) ابن الفرات : المصدر السابق مجلد ٧ ص٢٠٤ ، ٢٠٥ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٦٨٥ ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق مجلد ١ ص١٩٨ ، ص٢٢٨ — ٢٣١ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٩٢ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٧ ص٣٠٠ ، د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص١١٦٦ .

(١٢) المقريزى : المصدر السابق ص٦٩١ — ٦٩٥ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ١ ص٦٢ — ٦٣ ، رشيد الدين : جامع التواريخ المجلد الثانى الجزء الثانى ترجمة محمد صادق نشأت ، فؤاد عبد المعطى الصياد ص٨٣ ، ابن الفوطى : المصدر السابق ص٤١٥ ، أبو الفدا : المصدر السابق جـ٤ ص١٤ — ١٥ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٩٥ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص٥٠٤ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٧ ص٣٠٢ — ٣٠٤ ، ابن =

Scanned with CamScanner

الفرات وهم فى أسوأ حال ، ومن نجا منهم قتله أهل البيرة [١٣] ، كما أمر السلطان قلاوون باشعال النار فى الأحراش المجاورة لنهر الفرات فاحترقت طائفة من المغول كانت قد اختفت فيها [١٤] • وهكذا وجه المصريون للمرة الثانية ضربة شديدة للمغول ومنعوهم من الاستيلاء على الملجأ الآمن الوحيد للمسلمين وللثقافة الاسلامية آنذاك والمتمثل فى دولة المماليك فى مصر والشام [١٥] • أما أبغا فقد ظل مقيما فى منطقة الرحبة ، ولأسباب غير معروفة لم يعبر الفرات ولم يشترك فى المعركة ، وربما دفعه الخوف من انتهاز مغول القبيلة الذهبية والجغطائيين فرصة ابتعاده عن حدود دولته وقيامهم بالهجوم على فارس ، وربما أيضا قدر المشقة والخسائر التى سيتكبدها فى حالة مواصلة زحفه بقواته حتى حلب [١٦] • ومهما كان الأمر فانه بعد أن علم بهزيمة منكوتمر واصل سيره الى بغداد ومنها الى همدان حيث وافته المنية فى المحرم سنة ٦٨١هـ

= الفرات : المصدر السابق جـ٧ ص٢١٢ — ٢١٨ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٢٦ ، الدياربكرى : تاريخ الخميس جـ٢ ص٣٧٩ — ٣٨٠ ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق ص٢٠٣ — ٢١٣ ، د. سعيد عاشور : المرجع السابق جـ٢ ص١١٦٧ ، د. سرور : المرجع السابق ص١٦٢ — ١٦٣ ، د. فهمى : المرجع السابق ص١٦٣ — ١٦٤ ، منير الخورى : تاريخ حمص القسم الثانى ص٢٥٠ ،

Grousset, op. cit., p. 445-446; Cambridge History of Iran, Vol. 5, p. 363, Sykes, P. A history of Persia, Vol. 11, p. 103; Howorth, op. cit., p. 111, p. 270-273; ....

Wiet, op. cit., p. 446; Blochet, op. cit., p. 389-390.

(١٣) ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٩٦ .

(١٤) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٦٩٥ ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق مجلد ١ ص٢١٣ .

15. Howorth, op cit., p. 111, p. 272-273.

16. Blochet, op. cit., p. 390.

Scanned with CamScanner

أوائل ابريل سنة ١٢٨٢م[١٧] ، كما مات بعده بقليل منكوتمر مقهورا من كسرته فى سهل حمص[١٨] • أما السلطان قلاوون فعاد الى القاهرة وأسرى المغول تسير بين يديه[١٩] ، بعد أن أوقع بهم هزيمة لا تقل فى خطورتها عن هزيمتهم فى عين جالوت ، وان كان الفضل فى ذلك النصر يرجع بالدرجة الأولى الى القوة العسكرية الضاربة التى أنشأها الظاهر بيبرس فى أثناء حكمه الذى دام حوالى سبعة عشر عاما[٢٠] •

السلطان قلاوون وأحمد تكودار :

وحدثت تطورات سياسية هامة فى دولة مغول فارس أبعدت خطورتهم بصفة مؤقتة على سلطنة المماليك حتى وفاة السلطان قلاوون • فقد أعقب وفاة أبغا تولية تكودار بن هولاكو سنة ٦٨١هـ / مايو ١٢٨٢م الحكم بوصفه أكبر أبناء هولاكو طبقا لأحكام الياسا الجنكيزية • وكان تكودار فى الصين أثناء حملة أبيه على ايران والشام ، ويبدو أن الهزائم المتكررة للمغول على يد المماليك جعلت قوبيلاى الخاقان الكبير للمغول يرسله الى ايران لمساعدة أخيه أبغا[٢١] • وقد اعتنق تكودار الاسلام

---

(١٧) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٦٩٨ ، رشيد الدين : المصدر السابق مجلد ٢ جـ٢ ص٨٥ ، أبو الفدا : المصدر السابق جـ٤ ص١٦ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٧ ص٣٤٨ ، د. فايد عاشور : المرجع السابق ص١٢١ — ١٢٢ ،

Camb. hist. of Iran, vol. 5, p. 364.

(١٨) رشيد الدين : المصدر السابق مجلد ٢ جـ٢ ص٨٥ ، المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ٣ ص ٧٠٥ ، أبو الفدا : المصدر السابق جـ٤ ص١٥ — ١٦ ، ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور تحقيق مراد كامل ص٤ •

(١٩) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٠١ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٧ ص٢٢٧ •

20. D. Ayalon, The Great Yasa of Chingiz Khan, p. 128-129, in «Studia Islamica, XXXVI, pp. 113-158», 1972.

(٢١) د. فهمى : المرجع السابق ص١٦٦ — ١٦٧ •

Scanned with CamScanner

وتلقب بالسلطان أحمد(٢٢) ، فكان بذلك أول ايلخان مغولى فى ايران يعتنق الاسلام • وقد رأى السلطان أحمد تكودار تغيير سياسة العداء التقليدية للمغول تجاه المماليك بعد أن قدر عدم جدوى تلك السياسة ، ولحاجة السلطان أحمد الى حلفاء لمواجهة خصومه المغول سواء البوذيون أو المسيحيون • وأرسل أحمد تكودار من أجل تنفيذ سياسته الجديدة رسالة الى السلطان قلاوون ذكر فيها اسلامه وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف ، كما أمر بتجهيز الحجاج ، وطلب فى رسالته أيضا اخماد الفتن والحروب بين الجانبين وانهاء حالة التوتر بين الدولتين المغولية والمملوكية وعقد الصلح صيانة لدماء المسلمين واطلاق سبل التجارة والمسافرين بين الجانبين • وقد رحب السلطان قلاوون بذلك العرض من جانب ايلخان المغول ورد عليه بالموافقة (٢٣) • ونظرا لأن السلطان أحمد قد شرع فى تحويل المغول الى الاسلام فان القادة والأمراء البوذيين والمسيحيين لم يرضوا عن سياسته(٢٤) وبوجه خاص بعد أن

---

(٢٢) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٤ ، رشيد الدين : المصدر السابق مجلد ٢ جـ٢ ص٩٢ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٢٨ ، Browne, A literary history of Persia, vol. III, p. 26; Grousset, op. cit., p. 446, Cam. hist. of Iran, Vol. 5, p. 365-367; Sykes, op. cit., Vol. II, p. 107.

(٢٣) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٦ — ١٦ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص٥٠٦ — ٥١٠ ، ابن الفوطى : المصدر السابق ص٤٢٤ — ٤٢٥ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٢٩٩ — ٣٠٠ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٠٧ — ٧٠٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٧ص٢٤٨، ٢٤٩ ، د. فهمى : المرجع السابق ص١٦٧ ، ١٦٩ ، د. مصطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص١٢ ، د. سرور : المرجع السابق ص ١٦٣ — ١٧١ ، خصباك : العراق فى عهد المغول الايلخانيين ص١٤٦ ، Grousset, op. cit, p. 446; Browne, op. cit., vol. 111, p. 26.

(٢٤) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص١٧ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٢٩ ، د. مصطفى بدر : المرجع السابق ص١٢ — ١٣ ، د. فايد عاشور : المرجع السابق ص١٢٦ ، Grousset, op. cit., p. 446; Browne, op cit., Vol. III, p. 26.

Scanned with CamScanner

اتجه الى احلال الشريعة الاسلامية محل أحكام الياسا والعـرف القبلى المغولى ، وسعيه الى مهادنة المماليك أعداء المغول[٢٥] • وقد رأى قادة وأمراء المغول أن تكودار قد ابتعد عن حلفائهم الطبيعيين وهم المسيحيون الشرقيون ، كما رأوا فى سـياسته اضطهادا للمغول الذين ظلوا مخلصين لعقيدة أسلافهم ، وقد اشتكى أرغون بن أبغا الى الخاقان الأعظم قوبيلاى أن عمه أحمد قد هجر شريعة آبائه وأجداده ووافق شريعة العرب[٢٦] • وقد ترجم أمراء المغول موقفهم من أحمد تكودار بأن تظاهروا بتأييده[٢٧]. ثم ساند عشرة من هؤلاء الأمراء فضلا عن ستين قائدا أرغون فى ثورته ضد أحمد تكودار[٢٨] •

السلطان قلاوون وأرغون بن أبغا :

وكان أرغون بن أبغا حاكما على خراسان وطامعا فى العرش ، فأعلن الثورة على عمه تكودار ونشبت الحرب الأهلية بين الجانبين[٢٩] • ومع أن السلطان أحمد تمكن فى البداية من هزيمة خصمه أرغون وأسره الا أن المغول الثائرين أفرجوا عن أرغون وأجلسوه على العرش فى جمـادى

---

(٢٥) د. فهمى : المرجع السابق ص ١٧٠ •

26. Howorth, op. cit., p. 111, p. 310; Michael prawdin, The mongol Empire, its rise and Legacy, p. 372.

(٢٧) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٤ •

28. Howorth, op. cit., p. 111, p. 306-307; Michael P. op. cit., p. 372.

(٢٩) ابن حبيب : المصدر السابق جا ص٨٩ — ٩٠ ؛

خواندمير : دستور الوزراء ترجمة د. حربى أمين سليمان ص٣٥٢ — ٣٥٤ ؛
Grousset op. cit., p. 446.

Scanned with CamScanner

الأولى سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م وقتلوا السلطان أحمد[٣٠] ، وكان أرغون بوذيا معاديا للاسلام والمسلمين ، مناصرا للمسيحية والمسيحيين ، بل كانت احدى زوجاته وهى أوروك خاتون Ouruk-Khatoun مسيحية نسطورية من قبيلة كرايت[٣١] ، كما أنه كان صديقا لبطريرك النساطرة يهب الله الثالث Yahbh Allaha [٣٢] الذى استغل بطبيعة الأمر تلك الصداقة للعمل لصالح كنيسته • وعهد أرغون بالوظائف الكبرى فى دولته للمسيحيين واليهود ، كما أعيد فى عصره بناء كثير من الكنائس

---

(٣٠) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧١٤ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص٣ ، ٤ ، ابن الفوطى : المصدر السابق ص٤٣٥ — ٤٣٦ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص ٥١٨ — ٥٢٠ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٢٩ — ٣٣٠ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى الجزء الثانى تحقيق د. محمد محمد أمين ص٢٥٤ — ٢٥٦ ، د. سرور : المرجع السابق ص١٧١ — ١٧٢ ، د. فهمى : المرجع السابق ص ١٧٠ — ١٧١ ،

Grousset, op. cit., p. 446-447; Petri, Des maisons, Histoire des Mongols et des Tatars, par Aboul Ghazi Behadour Khan, p. 173.

ويرى بعض المؤرخين أن اسلام تكودار لم يكن السبب فى ثورة قادة المغول عليه وعزله بدليل اشتراك قوات من الجورجيين والأرمن فى جيش تكودار فى الحرب ضد أرغون ، وأن السبب الرئيسى فى عزل تكودار هو أنه كان حاكما غير كفء . أنظر مقال Boyle فى :

Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 365-368 ;

Bertold spuler, Les Mongols dans l'histoire, p. 60.

31. Sykes, op. cit., vol. II, p. 108; E.D. Phillips, The mongols, p. 120;

Grousset, op. cit., p. 448;

رشيد الدين : المصدر السابق مجلد ٢ جـ٢ ص١٢٤ ، ابن تغرى بردى : المنهل جـ٢ ص٣١٠ — ٣١١ .

32. Budge, K.T., The Monks of Kublai-khan emperor of china, Translated from the Syriac, p. 63; Bartold Spuler, op. cit., p. 57.

Scanned with CamScanner

التى هدمت فى أيام أحمد تكودار[٣٣] ، وعلا شأن الوزير اليهودى سعد الدولة الذى سيطر على الشئون المالية والطبية منذ سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م حتى وفاة أرغون سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م • وقد أثار ذلك الوزير أرغون على المسلمين فانتزع من أيديهم كل المراكز التى كانت لهم فى ادارات القضاء والمالية ومنعهم من الظهور فى بلاطه[٣٤] ، بل حاول سعد الدولة أيضا اغراء أرغون بتأسيس دين جديد[٣٥] • ويقال بأن أرغون فكر باشارة سعد الدولة فى القضاء على الاسلام واجبار المسلمين على اعتناق البوذية وتحويل الكعبة فى مكة الى معبد للاوثان[٣٦] • ولم ينج من اضطهاد أرغون سوى خراسان التى كان يحكمها ابنه غازان ، وآسيا الصغرى التى كان بها أخوه كيخاتو[٣٧] •

وكان طبيعيا أن يسير أرغون فى سياسته الخارجية على نفس السياسة العدائية السابقة لايلخانات فارس تجاه المماليك ، وأن يحاول مثل أسلافه غزو بلاد الشام والاستيلاء على بيت المقدس • ومن أجل

---

(33) Grousset, op. cit., p. 448; Howorth, op. cit., p. 348.

34. Browne, op .cit., vol. 111, p. 32; Howorth, op. cit., p. 111, p. 331-334; Bertold Spuler, op. cit., p. 61;

مصطفى طه بدر : المرجع السابق ص١٠ — ١١ •

(٣٥) وذلك طبقا لروايات وصاف الحضرة • أنظر :
Howorth, op. cit., p. 111, p. 340.

وقد بلغ من استياء المسلمين من ذلك الوزير أن قال أحد الشعراء فى بغداد قصيدة منها :

يهود ذلك الزمان قد بلغوا مرتبة لا ينالها فلك
الملك فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك

انظر : Browne, op. cit., vol. 111, p. 32.

(٣٦) خواندمير : المصدر السابق ص٣٥٩ — ٣٦٦ ،

36. Grousset, op. cit., p. 447; Howorth, op. cit., p. 111, p. 341; Blochet, op. cit., p. 391.

37. Grousset ,op. cit., p. 447.

Scanned with CamScanner

ذلك أدرك أرغون أنه لابد من الاستعانة بالقوى الأوربية المسيحية للقيام بعمل مشترك ضد المماليك بوصفهم حماه الاسلام والمسلمين فى ذلك العصر ، والثأر من هؤلاء المماليك الذين الحقوا الهزائم المنكرة بالمغول فى المعارك السابقة (٣٨) . وقد توالت سفارات أرغون الى الغرب الأوربى من أجل اعداد حملة صليبية مغولية مشتركة على بلاد الشام . وكان مشروعه يهدف الى قيام الغرب الأوربى بعملية انزال صليبى فى عكا أو دمياط فى الوقت الذى يهاجم هو فيه بلاد الشام ، وفى تلك الحالة يتم تقسيم سوريا بين الجانبين فتكون حلب ودمشق للمغول فى حين يحصل الصليبيون على بيت المقدس (٣٩) . وقد ذهب أرغون فى اغرائه للقوى المسيحية فى الغرب الأوربى الى حد الترويج بأنه سوف يعمد فى القدس بمجرد الاستيلاء عليها (٤٠) . وأرسل أرغون فى سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥ م سفارة الى البابا هونوريوس الرابع يذكره بالروابط التى تجمع بين المسيحيين وأسرة جنكيزخان (٤١) . ويبدو أن تلك السفارة لم تحرز نجاحا ملحوظا فأرسل أرغون سفارة أخرى سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧ — ١٢٨٨م الى الغرب الأوربى على رأسها الأسقف النسطورى ربان سوما Rabban Sawma . وقد مر ربان على القسطنطينية قبل سفره الى روما فاستقبله الامبراطور البيزنطى أندرونيقوس الثانى بترحاب كبير نظرا لأن أراضى سلاجقة الروم فى الأناضول الخاضعة لايلخانات فارس كانت ملاصقة لحدود الامبراطورية البيزنطية (٤٢) . وعندما وصل ربان

---

38. Camb. Hist. of Iran, Vol . 5, p. 370; Howorth, op. cit., p. 348; E. D. Phillips, op. cit., p. 120; Budge, op. cit., p. 63.

39. Grousset, op. cit., p. 448;

وأنظر أيضا د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص١١٦٩ .

40. Michael P., op. cit., p. 372; Howorth, op. cit., p. 111, p. 349.

41. Grousset, op. cit., p. 448; Cam. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 370.

42. Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 371; Browne, op. cit., vol. III, p. 31; Grousset, op. cit., p. 449.

Scanned with CamScanner

سوما الى ايطاليا وجد البابا هونوريوس الرابع قد مات فى سنة ٦٨٦هـ / أوائل أبريل سنة ١٢٨٧م ولم يكن خليفته قد انتخب بعد ، فاستقبل ربان سوما من قبل كرادلة روما الحاضرين • وشرح سفير أرغون أمام الكرادلة أهمية تنصير المغول ، وأن أرغون يرغب فى الاستيلاء على سوريا ويطلب مساعدة البابوية من أجل الاستيلاء على بيت المقدس(٤٣) • ويبدو أن كرادلة روما لم يقتنعوا بوجهة نظر ربان سوما لجهلهم بأحوال المغول من ناحية ، ولأنهم لم يتقبلوا بارتياح قيام رجل دين مسيحى بخدمة سيد وثنى ، فشكوا فى عقيدته ، وهكذا فشلت مهمة ربان سوما لدى المقر البابوى(٤٤) •

وذهب السفير المغولى ربان سوما الى فرنسا فى اطار مهمته ، فاستقبله الملك فيليب الرابع المعروف بالجميل فى سنة ٦٨٦ هـ/سبتمبر سنة ١٢٨٧م ، كما زار من أجل نفس الهدف انجلترا واجتمع بالملك أدوارد الأول فى نهاية أكتوبر وأوائل نوفمبر نفس العام • ومع أن ربان سوما استقبل فى فرنسا وانجلترا بترحاب كبير الا أنه لم يحصل على أى وعد حقيقى بتنفيذ مشروعه ، فعاد مرة أخرى الى روما حيث كان البابا نيقولا الرابع قد تم انتخابه فى أوائل عام ٦٨٧هـ / ٢٠ فبراير سنة ١٢٨٨م ، فاستمع اليه البابا باهتمام زائد واحتفل به لكن حصاد رحلة السفير المغولى لم يكن شيئا مذكورا ، فأخفقت مهمته تماما ، لأن القوى الأوربية رفضت أن تلتزم بالاشتراك فى حملة صليبية مع الجيش المغولى(٤٥) ، فلم تفهم أن هناك حاكما شرقيا قويا يمكنه تقديم المساعدة

---

43. Grousset op. cit., p. 449;

وانظر ايضا : فهمى : المرجع السابق ص١٧٨ — ١٧٩ •

44. Budge, op. cit., p. 64-66;

فهمى : المرجع السابق ص١٧٩ •

45. Grousset, op .cit., p. 449; Budge, op. cit., p. 67-69.

وانظر ايضا فهمى : المرجع السابق ص١٧٩ — ١٨٠ •

Scanned with CamScanner

لانجاز هدف ظلت أوربا تحارب من أجله قرنين دون جدوى[٤٦] ، هـذا فضلا عن أن البابا نيقولا الرابع أشار فى ردوده المتكررة على أرغون الى ضرورة اعتناقه المسيحية وتعميده أولا قبل ارسـال الحملة المقترحة للاستيلاء على بيت المقدس[٤٧] .

ولم ييأس أرغون من فشل سفارته الى الغرب الأوربى ، وظل حلم الحملة الصليبية المغولية المشتركة على بلاد الشام مسيطرا على تفكيره . فبعد تسلمه ردود بابا روما وملوك أوربا فكر في سفارة ثالثة وضـع على رأسها باسكاريل Buscarel الذى وصل الى روما حيث استقبله البابا نيقولا الرابع فى سنة ٦٨٨هـ صيف سنة ١٢٨٩م ، ثم رحل الى فرنسا حيث قدم مشروعه الى الملك فيليب « فبواسطة قوة السـماء الأزلية وتحت رعاية الخاقان أرغون نحن نقترح على ملك فرنسا الرحيل فى حملة خلال الشهر الأخير من شتاء سنة ١٢٩١م — ينـاير — وأن نضرب معسكرنا أمام دمشق فى ١٥ من الشهر الأول للربيع — ٢٠ فبراير — .. فاذا أرسلت من جانبك القوات فى الوقت المحدد فبعون الله سوف نستعيد بيت المقدس ونسلمها لك . ولكن اذا لم تشترك معنا فى الـوقت المحدد فلا داعى لارسال رجالك على الاطلاق .. » . وقد وعد أرغـون فى رسالته أنه فى حالة ارسال حملة صليبية فرنسية الى سـوريا فانه سيمد الحملة بالمؤن الضرورية وعشرين ألف فارس فضلا عن عدة آلاف من الخيول . كما أشار أرغون فى خطابه أيضا الى جهوده فى اعلان شأن المسيحية والمسيحيين فى بلاده واضطهاد المسلمين ، وأن أخته قد تزوجت

---

46. Michael p., op. cit, p. 372.

47. Howorth, op. cit., p. III, p. 349.

Scanned with CamScanner

حديثا من ملك أرمينيا وأنها اعتنقت المسيحية(٤٨) . ويبدو أن السفير المغولى لم يحصل على مراده فى هذه الرحلة أيضا لأن أرغون أرسل للمرة الرابعة سفيرا جديدا هو شاجان أو « زاجان » Tchagan-Zagan الى البابا نيقولا الرابع والى ادوارد الأول ملك انجلترا والى فيليب ملك فرنسا ولكن القوى الأوربية رغم جهود البابا نيقولا الرابع لم تجب على طلبات أرغون الا اجابات دبلوماسية ، ففشل بذلك مشروع الحملة الصليبية المغولية ضد المماليك(٤٩) .

وبالاضافة الى فشل أرغون فى الحصول على المساعدة الأوربية المنشودة ضد المماليك فانه واجه مشكلات داخلية خطيرة تمثلت فى مؤامرات القادة المغول ضده مثل ثورة نوروز فى خرسان(٥٠) ، وهجمات مغول القفجاق على الحدود(٥١) ، لذا فان عهد أرغون خلا من الهجمات على حدود دولة المماليك رغم حلم أرغون بالاستيلاء على بلاد الشام ، ورغم قيام بعض قوات المماليك فى الشام بمهاجمة مناطق الحدود مع دولة المغول بالقرب من نهر دجلة(٥٢) .

---

48. Grousset, op. cit., p. 450-451; Blochet, op. cit., p. 392; Howorth, op. cit., p. 111, p. 350-352; Bertold spuler, History of the Mongols based on eastern and western accounts of the thirteenth and fourteenth Centuries., p. 141-142.

وأنظر أيضا : مصطفى طه بدر : المرجع السابق ص٦٥ — ٦٧ ، فهمى : المرجع السابق ص١٨٠ .

49. Grousset, op. cit., p. 451; Howorth, op. cit., p. 111, p. 353.

50. Grousset, op. cit,., p. 451; Blochet, op. cit., p. 391-392.

رشيد الدين : المصدر السابق مجلد ٢ جـ٢ ص١٤٠ — ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ — ١٥٦ ، ١٦٢ .

(51) Camb. Hist. of Iran, Vol. 5. p. 371; Grousset, op. cit., p. 451 Howorth, op. cit., p. 111, p. 321-322.

(52) Howorth, op. cit., p. 111, p. 327.

Scanned with CamScanner

أما فى دولة المماليك فان السلطان قلاوون كان على وعى كبير بخطورة خطوات أرغون وسعيه الدؤوب لعقد تحالف مغولى مسيحى • وقد احتاط قلاوون للامر من كل الوجوه ، فعمل على استمرار التحالف مع مغول القبيلة الذهبية أعداء مغول فارس • وقد تبادل قلاوون الرسائل مع تدان منكو Tudamangu خان القبيلة الذهبية الذى خلف آخاه منكو تمر منذ سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م • وكان تدان منكو مسلما ورغب فى أعلاء شأن الاسلام فى بلاده ، فأرسل الى السلطان قلاوون وفدا من الفقهاء ومعهم رسالة تتضمن خبر اسلامه واقامته شرائع الاسلام ، وطلب من السلطان قلاوون نعتا يسمى به من أسماء المسلمين وعلما من الخليفة وعلما آخر من السلطان ليجاهد تحتهما أعداء الدين(٥٣) • وقد رد عليه السلطان قلاوون ردا حسنا وأرسل اليه هدية ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع القرم(٥٤) •

ونظرا لأن أرغون قد عمل على تعويق التجارة المصرية مع الهند بالاتفاق مع الجنوية على فرض الحصار على ميناء عدن(٥٥) ، فان قلاوون أصدر منشورا الى حكام السند والهند والصين واليمن يتضمن حماية التجار الراغبين فى القدوم من تلك البلاد الى مصر وبلاد الشام(٥٦) • ولم يهمل السلطان قلاوون باعتباره رجل دولة بعيد النظر — شأن القوى المسيحية الأوربية الكبرى ، فحاول من

---

(٥٣) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٤٦ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٧ ص٢٧٧ ، د. حياة ناصر الحجى : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق ص١٤ « حولية مجلة كلية الاداب بالكويت — الحولية الثانية ١٩٨١م — ١٤٠٠هـ » .

(٥٤) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٠٨ هامش٢ ، ص٧٣٨ ؛ حياة ناصر الحجى : المرجع السابق ص١٥ .

(55) Wiet, op cit., p. 451.

(٥٦) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٢٣٦ — ٢٣٧ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٤٢ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص٦٥ — ٦٧ ،
Wiet, op. cit., p. 451.

Scanned with CamScanner

جانبه الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الامبراطور البيزنطى(٥٧) ، ومع ملوك الغرب مثل ملك فرنسا وملك قشتالة ، وملك صقلية ، وجمهورية جنوه التى عقد معها قلاوون معاهدة تجارية(٥٨) • كما عقد قلاوون معاهدة تجارية مع ملك أرغونة أجاز بمقتضاها الملك لرعاياه تصدير الخشب والحديد الى مصر على الرغم من وجود اعتراض للبابوية منذ سنة ١٢٧٢م على تصدير المواد اللازمة لصناعة السفن الى مصر(٥٩) •

وانتهز قلاوون فرصة استرخاء النشاط العسكرى على حدوده مع دولة مغول فارس كى يهاجم الصليبيين فى بلاد الشام لاضعاف قوتهم الى أدنى حد ، فتذرع بمهاجمة الاسبتارية لقافلة من التجار المسلمين وهاجم حصن المرقب واستولى عليه فى ربيع الأول من عام ٦٨٤هـ / مايو ١٢٨٥م(٦٠) • وقد اضطر عندئذ حاكم طرابلس بأن يسلم الى قلاوون حصن مرقية على الساحل ، كما طلب الصليبيون فى صور فى أغسطس من عام ١٢٨٥م عقد معاهدة سلام مع قلاوون لعشر سنوات مقابل تقديم

---

(٥٧) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٢٠٤ — ٢٠٩ .

(٥٨) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ١٦٥ — ١٦٧ ،

S. Lane poole, op. cit., p. 281.

(٥٩) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص١٥٦ — ١٦٤ ،

Wiet, op. cit., p. 453-454.

(٦٠) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٢٨ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٢١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣١٥ ، ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٧٧ — ٨١ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٣٢ — ٣٣٣ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص١٧ ، ١٨ ، د. سعيد عاشور : الحركة جـ٢ ص١١٦٨ ، د. سرور : المرجع السابق ص٢٣٧ — ٢٣٨ ،

S. Lane poole, op. cit., p. 281., Wiet, op. cit., p. 452.

Scanned with CamScanner

نصف دخل صور وعدم تجديد حصون المدينة[٦١] . أما ملك أرمينيا فقد هاجمت قوات المماليك بلاده واجبرته على عقد هدنة لمدة عشر سنوات مقابل دفع جزية سنوية للسلطان بواقع مليون درهم سنويا ، وأن يطلق سراح كل الأسرى المسلمين ، وأن يكف عن القيام بالتحصينات الدفاعية[٦٢] . وعندما نقض الصليبيون فى طرابلس الهدنة مع قلاوون سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م وقبضوا على مجموعة من التجار المسلمين هاجم السلطان قلاوون المدينة وشدد الحصار عليها حتى سقطت فى يده فى شهر ربيع الاخر سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م[٦٣] على الرغم من مناعة أسوارها ومقاومة الصليبيين فيها ، والمساعدات التى قدمها لهم ملك قبرس[٦٤] . ثم استولى السلطان قلاوون على بيروت وجبلة وما حولها من الحصون ، وتجهز للأستيلاء على عكا عقابا لها على الفتك بتجار المسلمين[٦٥] لولا

---

(٦١) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ص٩٢ ، ٢٠٧ .

(62) S. Lane Poole, op cit., p. 281; Howorth, op. cit., p. 111, p. 347-348

(٦٣) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٢٣ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٤٦ — ٧٤٧ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٣٥ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص٧٩ — ٨٠ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٣١٣ ، د. سعيد عاشور : المرجع السابق جـ٢ ص١١٧٣ — ١١٧٤ ، د. سرور : المرجع السابق ص٢٣٨ — ٢٣٩ ،

S. Lane Poole, op. cit p. 281-282.

(٦٤) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٤٧ — ٧٤٨ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ١ ص١٢٢ ، د. سعيد عاشور : قبرس والحروب الصليبية ص ٥١ ،

Wiet., op. cit., p. 452-453.

(٦٥) ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص٩٣ ، ٩٦ — ٩٧ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٣٢٠ .

Scanned with CamScanner

الظروف الداخلية فى مصر حيث تحرك عرب الصعيد بالعصيان ، ثم تلا ذلك وفاة السلطان نفسه فى سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م(٦٦) .

الأشرف خليل بن قلاوون والمغول :

وخلف الأشرف خليل أباه فى الحكم فى ذى القعدة من عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م ، وكانت المهمة العاجلة أمامه هى اتمام ما شرع فيه السلطان قلاوون من قبل وهو فتح عكا ، وقد نجح الأشرف فى الاستيلاء على المدينة فى جمادى الآخرة من عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م(٦٧) ، ثم تلا ذلك الاستيلاء على ماتبقى من مدن الساحل مثل صور وحيفا وعثليث وصيدا وغيرها من الحصون الصغيرة(٦٨) ، وبذلك أسدل الستار نهائيا على الغزو الصليبى لبلاد الشام ، وتم القضاء على شوكة خطيرة كانت تقض مضاجع المسلمين ، وتفرغ سلاطين المماليك بعد ذلك لمواجهة المغول .

---

(٦٦) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٤٨ ، ٧٥٣ ، ٧٥٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٧ ص٣٢٤ ، ٣٢٥ ، سرور : المرجع السابق ص٢٤٠ ،

S. Lane Poole, op. cit., p. 282, Wiet, op. cit., p. 456.

(٦٧) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٥٦ ، ٧٦٣ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص٥ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٢٤ — ٢٥ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٣٦ — ٣٣٨ ، د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٧٦ — ١١٨٣ .

(٦٨) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٦٣ — ٧٦٥ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص١١٣ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ١ ص١٣٧ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٣٢٠ — ٣٢١ ، بيبرس الدوادار : المصدر السابق مجلد ٢ سنة ٦٩٠ هـ ص٣٢٤ — ٣٢٧ ، ٣٣٠ ،

Wiet, op. cit., P. 459-460; S. Lane Poole, op. cit., p. 285-287.

Scanned with CamScanner

وكان أرغون ايلخان المغول قد توفى سنة ٦٩٠هـ / مارس ١٢٩١م . فعين قادة المغـول أخـاه كيخاتو (٦٩٠ — ٦٩٤هـ / ١٢٩١ — ١٢٩٤م) Gaikhatou الذى كان حاكما على اقليم الأناضول خلفا له . ولم يكن كيخاتو مؤهلا للحكم بل كان ضعيفا مترددا مسرفا ومولعا بالخمر والنساء[٦٩] ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه خزانة الدولة مفلسة حتى عجز البلاط الايلخانى عن الصرف على الضروريات الأساسية . ثم زادت الأحوال سوءا بسبب انتشار الأمراض والأوبئة والقحط العـام لعـدة سـنوات حتى تذمر الناس وتحركت عندهم روح التذمر والثورة[٧٠] . وحاول كيخاتو ووزيره صدر الدين أحمد الخالدى تدارك الأمر باصدار عملة ورقية جديدة لحل الأزمة المالية [٧١] ، غير أن تلك المحـاولة باءت

---

(69) Bertold spuler, Les Mongols dans L'histoire, p. 62; Howorth, op. cit., p. 111, p. 377; Grousset op. cit., p. 451-452,

وانظر أيضا : ابن خلدون : العبر المجلد الخامس القسم الرابع الجـزء العاشر ص١١٥٨ ، د. فهمى : المرجع السابق ص١٨٣ .

(70) Howorth, op. cit., p. 111, p. 369;
فهمى : المرجع السابق ص١٨٣ .

(71) Browne, op. cit., Vol. 111, p. 37-38; M. Prawdin, op. cit., pp. 374-376;

وكانت هذه العملة تسمى « الجاو » Chao وقد نقلت من الصين ، وهى عبارة عن قطعة ورقية مستطيلة الشكل مدون على أطرافها بخط صينى ، وفى أعلى الورقة على الجهتين كتبت عبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » . وفى أسفل الورقة عبارة « أرنجن تورجى :

Irenchin Turji

أو Irichi Turichi

وهى اللقب المغولى لكيخاتو عند اعتلائه العرش . ونقشت داخل دائرة فى وسط الورقة قيمتها التى تراوحت بين نصف درهم وعشرة دنانير ، ثم كتبت بعدها عبارة « بتاريخ ثلاث وتسعين وستمائة أصدر حاكم العالم هذه الجاو المباركة ، ومن يشوهها سيعاقب بالموت مع زوجاته وأولاده كما سـتصادر ممتلكاته » . أنظر :

Howorth, op. cit., p. 111, p. 370; M. Prowdin, op. cit., p. 374-376;
Bertold.. Spuler, A history of the Mongols.., pp. 139-141;
فهمى : المرجع السابق ص١٨٣ — ١٨٤ .

Scanned with CamScanner

بالفشـــل فألغيت العملة الجديدة بعد صدورها بفترة قليلة وعاد التعامل بالذهب والفضة[٧٢] . وظل عرش كيخاتو مهتزا ، وساءت ســيرته فى الحكم ، فلم يستقر له الأمر حتى قتل[٧٣] .

واستغل الأشرف خليل تلك الاضطرابات فى دولة مغــول فارس واستولى سنة ٦٩١هـ / ١٢٩٢م على قلعة الروم الواقعة على الضــفة اليمنى للفرات ، وكانت بموقعها الاستراتيجى بمثابة الباب الرئيسى لغزو سوريا ، كما كانت تضم حامية مغولية وأرمينية ، ثم أطلق الأشرف خليل عليها اسم قلعة المسلمين[٧٤] . وكان من نتيجة ذلك العمل أن اضطر ملك الأرمن الى التنازل فى سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م عن عدة حصون هامة مثــل بهسنا ومرعش وتل حمدون ثمنا للسلام مع السلطان الأشرف خليل[٧٥] .

---

(72) Sykes, op. cit., vol. 11, p. 108;

فهمى : المرجع السابق ص١٨٥ ، عباس عزاوى : المرجع السابق جـ١ ص ٣٥٨ .

(٧٣) ابن حبيب : المصدر السابق ص١٤١ ، ١٨٢ ، أبو الفداء : المصــدر السابق جـ٤ ص٣١ — ٣٢ ، ابن الوردى : المصدر الســابق جـ٢ ص٣٤٢ . وللمزيد من التفاصيل عن حكم كيخاتو وسوء سيرته أنظر : فهمى : المرجــع الســابق ص ١٨٦ .

(٧٤) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٢٦ — ٢٧ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٧٨ ، رشيد الدين : المصدر السابق مجلد ٢ جـ٢ ص١٧٨ — ١٧٩ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٣٢٧ ، ابن الوردى : المصــدر السابق جـ٢ ص٣٣٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص١٣٦ — ١٣٧ ، د. فايد عاشور : المرجع السابق ص١٢٨ .

Howorth, op. cit., p. 111, p. 362-363; S. Lane Poole, op. cit., p. 287.

(٧٥) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٨٤ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ ٨ ص ١١٤ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ٨ ص ١٤ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 402; S. Lane Poole, op. cit., P. 287.

Scanned with CamScanner

وقد أزعج نجاح الأشرف خليل فى الاستيلاء على قلعة الـروم كيخاتو ايلخان فارس ، لكنه كان عاجزا عن مواجهة سلطان المماليك ، بل كان عاجزا حتى عن حماية حليفه ملك الأرمن ، فاكتفى كيخاتو بتوجيه تهديد أجوف الى الأشرف خليل ينذر فيه بأنه أى كيخاتو سوف يستولى على حلب لأنها من الأراضى التى فتحها أبوه هولاكو ، فاذا لم يسمح له السلطان بذلك استولى كيخاتو على بلاد الشام • ولم يعبأ الأشرف كثيرا بذلك التهـديد بل رد عليه قائلا بأنه هو أيضا أى الأشرف عازم على استعادة بغـداد وقتل المغول بها واعادتها كما كانت دارا للاسلام ، ثم استعد الأشرف للحـرب(٧٦) •

اسـتيلاء غازان على الحكم فى فارس :

ولم تسمح التطورات السياسية فى كلتا الدولتين المغولية والمملوكية آنذاك بالصدام بين الجانبين ، اذ حدثت مشـكلات داخلية فى كل منهما أجلت الحرب الى وقت لاحق • ففى دولة مغول فارس وقع انقلاب ضد كيخاتو قاده فريق من أمراء المغول المناهضين لسياسته ، وتم قتله فى جمادى الأولى سـنة ٦٩٤هـ / أبريل ١٢٩٥م ، وحل محله بايدو فى الحكم (٧٧) • وسار بايدو خلال حكمه القصير على نفس السـياسة

---

(٧٦) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٨٦ ،

S. Lane poole, op. cit., p. 288; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 373; Howorth, op. cit., p. 111, p. 363;

د. فايد عاشور : المرجع السابق ص١٢٨ — ١٢٩ ، منى ابراهيـم : السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك . رسالة ماجستير غير منشـورة كلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٧٥م ص٥ .

(77) Grousset, op. cit., p. 452;

(٧٧) رشيد الدين : المصـدر السابق مجلد٢ جـ٢ ص١٨٤ — ١٨٨ ، البدليسى : شرف نامه جـ٢ ص١٥ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٣٢ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ٢ ص٣٨٠ ، د. فهمى : المرجع السـابق ص ١٨٦ .

Scanned with CamScanner

السابقة لايلخانات فارس بمناصرة المسيحيين على حساب المسلمين[٧٨] ، وبوجه خاص بعد أن اعتنق المسيحية[٧٩] • ويبدو أن بايدو لم يستطيع مواصلة سياسته المناهضة للمسلمين طويلا فأخذ فى مداراتهم ولو فى الظاهر ، فأعفى علماء المسلمين والأشراف من الضرائب كما أصدر عملة تحمل الشعار الاسلامى[٨٠] • غير أن هذه الاجراءات لم تؤد الى حماية عرشه ، فبعد فترة وجيزة من الحكم لاتجاوز ثمانية شهور ثار غازان حاكم خراسان بالاتفاق مع القائد حاجى نوروز فهرب بايدو الى جورجيا على أمل اللجوء الى القبيلة الذهبية ، لكن نوروز أدركه عند ناخشوفان وقتله أواخر سنة ٦٩٤هـ / أكتوبر ١٢٩٥م ، وحل غازان محل بايدو فى حكم مغول فارس[٨١] ، فتم بذلك انتصار الحزب الاسلامى انتصارا ساحقا بقيادة غازان الذى كان قد اعتنق الاسلام فى شعبان من نفس عام ٦٩٤هـ / يونية ١٢٩٥م على يد حاجى نوروز والشيخ ابراهيم الجوينى[٨٢] ، تم انتصاره على الحزب المسيحى الذى كان يؤيد ويدعم كل ايلخانات فارس السابقين منذ سيطرة المغول على ايران •

---

(78) Grousset, op. cit., p. 452.

(٧٩) ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص١٩١ ، د• فهمى : المرجع السابق ص١٨٨ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 387;

(٨٠) مصطفى طه بدر : المرجع السابق ص١٣ — ١٤ ، فهمى : المرجع السابق ص ١٨٩ •

Howorth, op. cit., p. 111, p. 387;

هذا ويعتقد Boyle أن بايدو كان على المذهب الشامانى القديم الذى يعطى احتراما متساويا لكل الأديان والمذاهب • أنظر :

Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 379.

(٨١) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص١٥ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٣٢ ،

Blochet, op. cit., p. 393; Grousset, op. cit., p. 452-453.

(٨٢) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص١٥ ،

Browne, op. cit., Vol 111, p. 40.

Scanned with CamScanner

سياسة غازان الاسلامية وأثرها :

وتلا اسلام غازان بن أرغون اعتناق مايقرب من ثمانين ألف مغولى من كبار أتباعه وصناديد قومه للعقيدة الاسلامية(٨٣) . وكانت طائفة كبيرة من المغول قد اعتنقت الاسلام سرا ، فأعلنوا اسلامهم بعد اسلام غازان ، فأصبح المسلمون بذلك هم الفريق الأقوى نفوذا فى الدولة(٨٤) . ونظرا لأن غازان قد جعل الاسلام دين الدولة الرسمى (٨٥) ، فقد شرع فى اجراء اصلاحات كبيرة تتفق مع الوضع الجديد فى دولته ، فأصدر عملة جديدة تحمل اسمه منفردا باللغة العربية لتأكيد استقلاله فى الحكم عن الخاقان الأعظم فى الصين والذى حرص الايلخانيون السابقون فى فارس قبل غازان على بقاء علاقات اسمية معه(٨٦) . ولايعنى ذلك أن غازان قد قطع علاقاته بالكلية مع خاقان الصين ، فقد ظل سفراء غازان يفدون الى الصين باعتبار القان فيها رأس أسرة جنكيز خان ، وبوجه خاص بيت تولوى(٨٧) . ونظرا للانجازات التى حققها غازان فقد اعتبر المؤرخون أن عصره يمثل العصر الذهبى للمغول فى ايران ، فهو علامة بارزة فى انتقال المغول من الحياة البدوية التى ألفوها لفترة طويلة الى حياة الحضر(٨٨) . غير أن سياسة غازان الاسلامية فى دولة المغول فى

---

(٨٣) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص ١٥ .

(84) Joachim Barckhausen, L'Empire jaune de Genghis Khan, p. 266-267;

(85) Grousset, op. cit., p. 454 ;

مصطفى طه بدر : المرجع السابق ص١٤ .

(86) Sheila, S. Blair, «The coins of the later IlKhids, p. 296-297». in «JESHO», Vol. XXVI, part 111, 1983».

(٨٧) د. الصياد : السلطان محمود غازان ص١٩ .
Grousset, op. cit., p. 456; Howorth, op. cit., p. 111, p. 487:

(88) Grousset, op. cit., p. 457.

Scanned with CamScanner

فارس لم تلق قبولا وديا من اتباع الديانة البوذية ، فنشبت الاضطرابات فى مختلف الولايات ، وتمرد كثير من أمراء المغول عليه وهرب بعضهم الى خارج فارس • ومن هؤلاء طائفة الأويراتية التى كان يقيم معظم أفرادها فى بغداد وديار بكر ، فجاءت الى الشام ومصر واستقبلها السلطان كتبغا بترحاب كبير نظرا لأصله المغولى فضلا عن علاقات المماليك السيئة مع مغول فارس[٨٩] • ثم أصدر السلطان العادل كتبغا أوامره بأن تسير الأويراتية الى الساحل فى بلاد الشام والى منطقة المرج من دمشق، ولم يبق منهم فى مصر الا زعماؤهم فقط حيث اقطعهم اقطاعات جليلة وقدمهم على غيرهم من الأمراء[٩٠] • ولاتعنى هذه الاضطرابات فى فارس أن الاسلام قد أصبح مزعزعا فيها ، فقد تغيرت أمور كثيرة فى الدولة منذ مصرع أحمدتكودار ، فالعديد من المسلمين قد ارتقوا وظائف عالية فى الدولة ، كما أن كثيرا من نبلاء المغول قد اعتنقوا الاسلام

---

(٨٩) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨١٢ — ٨١٣ ، نفس المؤلف : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والاثار : جـ٢ ص٢٢ — ٢٣ ، ابن خلدون : المصدر السابق مجلد ٥ قسم ٤ جـ١٠ ص١١٥٩ — ١١٦٠ ،

Blochet, op. cit., p. 395; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 381 ;

هذا ويذكر المؤرخون أسبابا أخرى كثيرة لهجرة طائفة الأويرات الى الشام ومصر : منها أن زعيمها طرغاى قد ساعد بايدو ضد كيخاتو ، وأن غازان عزم على الانتقام منهم ، وبعد هزيمة طرغاى وقتل عدد كبير من رجاله هرب الى دولة المماليك ، ومنها أن الأويرات قد عاثوا فساداً واستولوا على قطعان الماشية أثناء حكم بايدو ، فأصدر غازان أمره باستعادة هذه القطعان ومعاقبة مرتكبيها بالاعدام . أنظر :

Howorth, op. cit., p. 111, p. 401.

وعن هجرة طائفة الأويرات أيضا انظر المصادر العربية التالية : ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٤٤ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص٢٠٣ — ٢٠٤ . ابن أبى الفضائل : تاريخه ص٥٨٨ — ٥٩١ فى :

Patrologia orientalis, Tom. XIV.

(٩٠) ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص٢٠٣ — ٢٠٥ ؛

Howorth, op. cit., p. 111, p. 402 ;

Scanned with CamScanner

فى حين دب الانقسام فى صفوف القادة الآخرين الذين ظلوا على وثنيتهم[٩١] .

وكان من المتوقع بعد اسلام غازان أن تتغير العلاقات مع المماليك الى الأفضل ، غير أن غازان رغم اسلامه ظل مغوليا خالصا[٩٢] فلم ينس قط أنه من سلالة جنكيزخان ووريثه ، بل انه سعى لاعادة وحدة الدولة المغولية كما كانت من قبل ، فأرسل البعثات الى كل الممالك المغولية يقترح على قادتها الاعتراف بتيمور حفيد قوبيلاى خانا أعظم للمغول[٩٣] . وبسبب ذلك الشعور المغولى العميق فى داخل غازان فانه لم يتخل عن سياسة أسلافه التوسعية والعدائية ضد المماليك ، كما أنه سعى — كما سيتضح فيما بعد — الى التحالف مع دول أوربا المسيحية من أجل القيام بحملة مشتركة على بلاد الشام ومصر[٩٤] ، بل انه وافق أيضا على اعطاء فلسطين بعد تخليصها من يد المسلمين الى المسيحيين ، ودعا البابوية الى حرب صليبية سنة ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م ضد المماليك ، ولم يحل دون تنفيذ ذلك الا نزاع البابا الدائم مع ملكى انجلترا وفرنسا[٩٥] .

وكانت قد حدثت تطورات سياسية هامة فى مصر أدت الى الصدام مع غازان ، اذ قتل الأشرف خليل فى رحلة صيد على يد كبار الأمراء

---

(91) M. Prawdin, op. cit., p. 376 ; Bertold spuler, Les Mongols dans l'histoire, p. 63.

(92) Grousset, op. cit., pp. 453-455.

(93) M. Prawdin, op. cit., p. 378.

(94) Blochet, op. cit., p. 402.

(٩٥) مصطفى طه بدر : المرجع السابق ص٦٣ — ٦٤ .

هذا فى حين يرى د. الصياد أن تبادل السفراء والمراسلات بين غازان وملوك أوربا المسيحية لم يخرج فى أى وقت عن حدود المجاملات الرسمية . انظر : الصياد : السلطان محمود غازان ص١٥ .

بزعامة بيدرا ولاجين فى المحرم من سنة ٦٩٣هـ / ديسمبر ١٢٩٣م[٩٦]، ففتح بذلك باب المؤامرات السياسية فى مصر لمدة خمس عشرة سنة . ولم يهنأ بيدرا بالسلطنة اذ سرعان ماقتله كتبغا ، كما أن الأمراء لم يوافقوا على انفراد كتبغا بالحكم ، فتم الاتفاق على اقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون فى السلطنة فى نفس العام ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م وكان لايزال طفلا دون العاشرة من العمر ، وأصبح كتبغا هو القائم بجميع أمور الدولة وليس للناصر من السلطنة سوى اسم الملك لا غير[٩٧] . وقد سار كتبغا فى الحكم سيرة سيئة ، كما دبر مؤامرة عزل فيها الناصر محمد وانفرد بالحكم فى المحرم سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م فثار عليه الأمراء[٩٨] ، وانتهى الأمر بأن تولى السلطنة الأمير حسام الدين لاجين فى المحرم من سنة ٦٩٦ هـ/١٢٩٦ م فى حين نفى كتبغا الى صرخد ، كما أبعد الناصر الى حصن الكرك[٩٩] . وبالاضافة الى تلك الاضطرابات السياسية

---

(٩٦) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٢٩ — ٣٠، المقريزى : السلوك جـ١ ق٣ ص٧٩٠ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٣٣٤ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٤٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٨ ص١٧ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص١٦٧ ، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ١ ص٣٠٠ — ٣٠٥ ، فايد عاشور : المرجع السابق ص١٢٩ ،

S. Lane Poole, op. cit., p. 288.

(٩٧) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٣٠ ، ٣١ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٧٩٢ — ٧٩٤ ، ص٨٠٦ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص١٧٢ ، ١٩٢ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص١٩ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٣ ص٣٣٤ .

(٩٨) ذكر ابن حجر فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة جـ٣ فى ترجمة كتبغا رقم ٣٣٠١ ص٣٤٨ — ٣٥٠ أن سبب الثورة على كتبغا هو أنه مال الى جنسه من المغول .

(٩٩) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٣١ ، ٣٤ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٠٦ — ٨٠٧ ، ص٨٢٠ — ٨٢٦ ، ٨٣١ — ٨٣٢ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص٦٥ — ٦٧ ، ابن الفرات : المصدر السابق جـ٨ ص١٩٣ ، ٢٢٠ — ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

Scanned with CamScanner

فى مصر فقد حدثت فيها أيضـــا أزمات اقتصـــادية بسبب المجاعات المتوالية(١٠٠) ، وفساد العملة(١٠١) ، فكانت تلك الأحوال كلها فى مصر فى صالح غازان عندما فكر فى الهجوم على بلاد الشـــام •

---

(١٠٠) المقريزى : اغاثة الأمة بكشف الغمة ص٣١ — ٣٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٩٧ — ٢٩٨ ،

William F. Tucker, «Natural disasters and the Peasantry in Mameluk Egypt», p. 218, in « J E S H O » vol. XXIV, 1981; Mounira, C.R., « Une Grande crise à la fin de XIII siecle en Egypte », p. 219, in «JESHO » Vol. XXVI, Part 111, 1983.

(١٠١) المقريزى : المصدر السابق ص٣٧ ،

Dr. Hassanein Rabie, The financial System of Egypt A. H. 564-741/A.D. 1169-1341, p. 188-189.

Scanned with CamScanner

الفصل الثانى

المغول والمماليك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون

الفترة الثانية من حكمه : ٦٩٨هـ ــ ٧٠٨هـ / ١٢٩٩م ــ ١٣٠٩م

الناصر محمد بن قلاوون وغازان ٠

الناصر محمد بن قلاوون وأولجايتو « خدابندا » ٠

Scanned with CamScanner

الفصل الثانى

المغول والمماليك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون

الفترة الثانية من حكمه : ٦٩٨هـ ــ ٧٠٨هـ / ١٢٩٩م ــ ١٣٠٩م

الناصر محمد بن قلاوون وغازان :

استمرت الاضطرابات السياسية فى مصر بعد تولى حسام الدين لاجين الحكم فى المحرم سنة ٦٩٦هـ / نوفمبر ١٢٩٦م بسبب تقديمه مملوكه منكوتمر على سائر الأمراء وتعيينه نائبا للسلطنة رغم كراهيتهم له[١] . وشرع منكوتمر فى التخلص من المعارضين لسياسته حتى يتمكن من السيطرة على زمام الحكم ، فأشار على السلطان بارسال حملة الى بلاد الأرمن لابعاد بعض كبار الأمراء عن مصر والشام[٢] ، كما حرض السلطان للقبض على البعض الآخر[٣] . غير أن الأمور لم تجر كما خطط لها

---

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٨ ص ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق٣ ص٨٣٣ ، أبو الفداء : المختصر جـ٤ ص٣٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٣٩٦ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٣٣ ، هامش ٤ نفس الصفحة ، فايد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى عهد الدول المملوكية الأولى ص ١٣٥ ،

Wiet, l'Egypte Arabe, p. 446; Howorth, History of the Mongols, part 111, The Mongols of Persia, p. 431.

(٣) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٥٢ ــ ٨٥٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص٣ ، ابن اياس : المصدر السابق جـ١ ق١ ص٣٩٧ ،

Howorth, op. cit., p. 111 ,p. 430-432.

Scanned with CamScanner

منكوتمر ، فعصفت الفتنة التى أثارها به وبالسلطان نفسه ، وانتهى الأمر بقتل الاثنين فى ربيع الآخر سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م على يد المماليك البرجية وعاد الناصر محمد بن قلاوون من منفاه فى الكرك واعتلى عرش السلطنة للمرة الثانية فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٩٨هـ / فبراير ١٢٩٩م(٤) . وكانت أهم النتائج التى أسفرت عنها سياسة منكوتمر السابقة هى هروب بعض كبار الأمراء مثل قبجق نائب دمشق ، وكذلك نائب صفد وغيرهما الى المغول عند رأس عين من أعمال ماردين ، فاستقبلهم غازان أحسن استقبال وأغدق عليهم الأموال والهدايا ، وزوجهم من أميرات مغوليات ، وقرب اليه قبجق بصفة خاصة وزوجه من أخت زوجته(٥) . وقد زين هؤلاء الهاربون لغازان سرعة غزو الشام ومصر ووعدوه بالمساعدة وأخبروه أن الأحوال السياسية فى دولة المماليك غير مستقرة ، وأن قوات المماليك لن تستطيع مقاومة الجيش المغولى(٦) .

---

(٤) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٣٩ — ٤٠ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٥٦ — ٨٥٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص١٠١ — ١٠٤ ، ١١٥ ،

S. Lane Poole, A History of Egypt in the Middle ; ages, p. 294; Wiet, op. cit., p. 465-469.

(٥) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٧١ ، هامش ٤ نفس الصفحة ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص٤٩٨ ، ابن كثير ، المصدر السابق جـ١٤ ص٢ ، فايد عاشور : المرجع السابق ص١٤١ — ١٤٢ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 433.

وأنظر ترجمة قبجق : ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣ ص٣٢٥ — ٣٢٧ .

(6) Blochet, Moufazzal Ibn Abil-fazail, Histoirs des Sultans Mamlouks..., Introduction par Blochet, p. 396; Wiet, op. cit., p. 470-471; Lane Poole, op. cit., p. 295; Cambridge History of Iran vol. 5, p. 386; Howorth, op. cit., p. 111, p. 434;

وأنظر أيضا : ابن الفوطى : المصدر السابق ص٥٠٢ ، ابن اياس : المصدر السابق جـ١ ق١ ص٤٠٣ .

Scanned with CamScanner

ولم يكن غازان فى حاجة الى من يحرضه على غزو أراضى سلطنة المماليك ، فقد أعد خطته من قبل ، وأرسل من أجل ذلك القائد المغولى سلامش على رأس خمسة وعشرين ألف فارس الى بلاد الروم فى آسيا الصغرى للاستيلاء عليها ثم الزحف منها الى بلاد الشام عن طريق سيس فى أرمينيا الصغرى • أما غازان نفسه فقد اتجه بقواته عن طريق ديار بكر لعبور الفرات ومهاجمة البيرة والرحبة وقلعة الروم ، على أن تجتمع قوات غازان وسلامش على أبواب حلب(٧) • غير أن خيانة سلامش قلبت خطة غازان رأسا على عقب ، فما أن وصل غازان الى بغداد فى أوائل رجب سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م حتى علم بثورة سلامش فى بلاد الروم ، فألغى غازان خطة الهجوم على الشام وعاد الى عاصمة ملكه ، فى حين أرسل جيشه لاخماد الفتنة فى بلاد الروم والقبض على الثائر(٨) •

وكان سلامش يطمع فى الاستقلال ببلاد الروم ، فاستغل قيادته للحملة العسكرية الموجهة الى بلاد الشام وتخلص من كبار القادة الذين أرسلهم غازان لمساعدته ، كما أشاع بأن غازان قد عزل من منصبه(٩) ،

---

(٧) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر جـ٩ المعروف باسم « الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر » نشره المعهد الألمانى بالقاهرة تحقيق هانس روبرت رويمر ، ص٨ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص١١٧ ، فايد عاشور : المرجع السابق ص١٤٢ ، ابن أبى الفضائل : المصدر السابق ص ٦٢٢ — ٦٢٣ •

(٨) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٧٦ — ٨٧٧ ،
Grousset, L'Empire des Steppes, p. 457; Blochet, op. cit., p. 395.

ويلاحظ أن خطة غازان فى الهجوم على بلاد الشام توافقت تقريبا مع هجوم اسطول صليبى كبير على ساحل بيروت خلال شهر شعبان سنة ٦٩٨هـ قامت به ثلاثون سفينة كبيرة من طراز البطسة حمولة كل منها سبعمائة جندى مما يشير الى وجود اتفاق مغولى صليبى للهجوم فى وقت واحد على بلاد الشام • وقد فشل الهجوم الصليبى بسبب الرياح التى حطمت سفن الأسطول •

أنظر : المقريزى : المصدر السابق ص٨٧٥ •

(9) Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 386.

Scanned with CamScanner

ولكى يضمن سلامش نجاح خطته أرسل الى سلطان مصر طالبا المساعدة العسكرية [١٠]. ونظرا للفتن التى كانت قائمة على قدم وساق فى دولة المماليك آنذاك فقد تأخر وصـــول المساعدة المطلوبة ، فتمكنت قـــوات غازان من احباط ثورة سلامش فى رجب سنة ٦٩٨هـ / أبريل سنة ١٢٩٩م، فلاذ بالفرار الى دمشق ومنها الى القاهرة ، ثم لقى سلامش مصرعه عندما عاد الى بلاده لاحضار أفراد أسرته[١١] . وقد اشتد حنق غازان عـــلى المماليك لقيامهم بايواء الثائر المغولى ولمساعدته بفرقة عسكرية من قوات حلب عند عودته الى بلاده ، ونهب تلك القوات لمدينة ماردين ، فاتخـــذ غازان من تلك العملية ذريعة لمعاودة الهجوم على بلاد الشام[١٢] ، وحقيقة الأمر أنه أراد استغلال الاضطرابات السياسية التى كانت تمر بها دولة المماليك آنذاك ، كما أنه أراد الانتقام من المماليك لاستيلائهم على قلعة الروم فى عهد الأشرف خليل[١٣] . ويبدو أن غازان كان لا يعترف بنظام حكم المماليك فى مصر اذ أرسل الى القاهرة رسالة يتهكم فيها عليهم ويشير الى انتقال الحكم فى مصر من الملوك الى العبيد [١٤] .

---

(١٠) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٧٦ ، ابن أيبك : المصدر السابق ص٨ ، فايد عاشور : المرجع السابق ص١٤٣ ،

Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 386; Cambridge Medieval history, edited by J.M. Hussey, Vol. IV, Part I, p. 751.

(١١) ابن أيبك : المصدر السابق ص٩ — ١١ ، أبو الفداء : المصـــدر السابق جـ٤ ص٣٧ ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ٩ ص٣٨٧ — ٣٨٨ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٧٦ — ٨٧٨ ،

Blochet, op. cit., p. 396; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 386; Howorth, op. cit., p. 111, p. .427-428.

(١٢) المقريزى : المصدر الســـابق جـ١ ق٣ ص٨٧٨ ، ابن الفوطى : المصـــدر السابق ص٥٠٠ ، ٥٠٢ ،

Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 387.

(13) Howorth, op. cit, p. 111, p. 434.

(14) Howorth, op. cit., p. 111, p. 434-435.

Scanned with CamScanner

واستعد غازان لهجومه الجديد على بلاد الشام استعدادا جيدا ، فخمسة من كل عشرة رجال فى الجيش تأهبوا للزحف ، واستعد كل رجل بالمؤن التى تكفيه ستة شهور[١٥] ، كما خصص غازان لكل جندى خمسة من الجياد[١٦] وهى عصب الحرب فى ذلك الوقت • واستدعى ملك جورجيا للاشتراك بقواته فى الحملة[١٧] • وبعد أن اتخذ غازان احتياطاته العسكرية على جبهاته الأخرى قاد المقدمة قطلو شاه فى حين قاد غازان القوات الرئيسية خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر سنة ١٢٩٩م ، وبعد عبور الفرات استعرض غازان قوات جيشه فبلغت حوالى تسعين ألف رجل[١٨] ، وهى حوالى خمسة أضعاف قوات المماليك التى احتشدت لمواجهته[١٩] •

وخرج الناصر محمد بن قلاوون فى أوائل المحرم سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م على رأس قواته الى بلاد الشام عندما علم بتحرك غازان ضده • وكان الناصر محمد فى وضع لايحسد عليه ، فقواته مفككة بسبب الفتن الناشبة فيها ، اذ أن طائفة الأوبراتية وهم من جنس المغول الذين قدموا الى مصر والشام فى أثناء حكم العادل كتبغا اشتد حنقهم على استبداد الأمراء البرجية بالأمور • وعزم هؤلاء الأويراتية على تدبير مؤامرة لقتل السلطان وكبار الأمراء مثل بيبرس الجاشنكير زعيم البرجية ، وسلار ،

---

(15) Howorth, op. cit., p. 435.

(16) J. M. Smith, « Mongol manpower and Persian Population », p. 280, in « JESHO » vol. XVIII, 1975;

Howorth, op. cit., p. 111, p. 435.

(17) Howorth, op. cit., p. 111, p. 435.

(18) Ibid., p. 435, 436.

(19) S. Lane Poole, op. cit., p. 295-296;

فايد عاشور : المرجع السابق ص١٤٧ •

Scanned with CamScanner

واعادة كتبغا الى الحكم . ومن ناحية أخرى كانت العلاقات سيئة بين السلطان والأمراء البرجية لاعتقادهم فى تآمره مع الأويراتية للتخلص من بيبرس الجاشنكير ، هذا فضـــلا عن التحاسد والتنافس بين الأمـــيرين الكبيرين سلار وبيبرس(٢٠) . فاذا أضفنا الى ذلك خطة غازان العسكرية المحكمة حيث استدرج المماليك الى موقع قوات قطلوشاه ثم قام غازان الذى كان يقود قلب الجيش المغولى مع الجناح الأيسر بالانقضاض على المماليك(٢١) ، فكان طبيعيا أن تحل الهزيمة الساحقة بقوات المماليك فى المعركة التى دارت بين الجانبين فى ٢٧ ربيع الأول ســـــنة ٦٩٩هـ / ٢٢ ديسمبر ١٢٩٩ م فى منطقة المروج خارج حمص . وقد اشترك مع غازان فى هذه المعركة الأمراء المماليك الهاربون اليه وفى مقدمتهم قبجق ، كما انضم الى الجيش المغولى أيضا هيثوم الثانى ملك أرمينيا مع قواته(٢٢) . ودخل غازان حمص حيث استولى على الخزائن السلطانية للناصر محمد بن قلاوون ، ثم دخل المغول دمشق . وبرغم الأمان الذى منحه غازان لأهل دمشـــق(٢٣) الا أن جنود المغول عاثوا فسادا فى الغوطة وظاهر المدينة

---

(٢٠) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٧٩ ، ٨٨٢ ، ٨٨٥ ،

Wiet op. cit., p. 471; Howorth, op. cit., p. 111, p. 436.

(21) Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 387-388.

(٢٢) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٨٥ — ٨٨٨ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٢ — ٤٣ ، ابن الوردى : تتمه المختصر جـ٢ ص٣٥٣ ،

Grousset, op, cit., p. 457; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 387-388.

وأنظر أيضا : منير الخورى : تاريخ حمص القسم الثانى ص٢٥١ .

وتسمى هذه المعركة أيضا باسم معركة وادى الخازندار . أنظـر : ابن أيبك : المصدر السابق ص١٥ — ١٧ وقد ذكر أن المعركة وقعت يوم ٢٩ ربيع الأول ، فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص٢٠١ .

(٢٣) ابن أيبك : المصدر السابق ص٢٠ — ٢٣ ، ابن كثير : المصـــدر السابق جـ١٤ ص٧ .

Scanned with CamScanner

لكنهم لم يتمكنوا من دخول قلعتها بعد أن رفض نائبها الاستسلام وأصر على المقاومة(٢٤) . ونهب الأرمن بصفة خاصة قرية الصالحية بالقرب من دمشق انتقاما من هجمات المماليك على بلاد أرمينيا(٢٥) . وقرئت الخطبة فى دمشق باسم السلطان غازان (٢٦) ، كما جمع المغول من أسواق المدينة وأغنيائها مبلغ أربعمائة ألف دينار فضلاً عن البراطيل والتراسيم التى دفعت للامراء المغول ، ومع ذلك قام المغول باحراق المساجد والمدارس فى دمشق وضواحيها(٢٧) . أما السلطان الناصر محمد وقواته فلاذوا بالفرار من أرض المعركة يطاردهم القائد المغولى مولاى Molai حتى منطقة غزة(٢٨) ، ثم وصل السلطان وقواته الى القاهرة وهم فى أسوأ حال حيث لم يسلموا فى هربهم من مطاردة ومهاجمة العربان والدروز(٢٩) .

وبرغم الانتصار الكبير الذى حققه غازان على المماليك فى المعركة السابقة الا أن النتائج العسكرية لذلك الانتصار كانت قليلة الأهمية ،

---

(٢٤) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٩٠ — ٨٩١ ، فايد عاشور المرجع السابق ص١٥١ ، .

Wiet. op. cit., p. 471.

(٢٥) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٨٩ — ٨٩٣ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مقدمة كاترمير ص١٥ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٨ ،

Wiet, op. cit., p. 472 ;
Howorth, op. cit., p. 111, p. 444-445.

(٢٦) ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٨ ، فايد عاشور : المرجع السابق ص١٥٠ ،

Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 388.

(٢٧) ابن أيبك : المصدر السابق ص٢٩ ، ٣٣ ، ٤٠ .

(28) Howorth, op. cit., p. 111, p. 446.

(٢٩) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٩٦ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص١٢٤ ، ١٢٨ ،

Wiet, op. cit., p. 471.

Scanned with CamScanner

فلم يترتب عليه احتلال المغول لأى من المدن الشامية احتلالا دائما ، فقد كان غازان مضطرا للعود بسرعة الى بلاده لاعتلال صحته(٣٠) ، ولمواجهة خطر أقربائه المغول الجغطائيين الذين استغلوا غيابه فى حملته على الشام وهاجموا تحت قيادة قطلق خوجا Qoutlouq Khodja وهو ابن خان التركستان — وكان اقطاعه يقع فى أفغانستان وغزنة وبلاد الغور — هاجموا كرمان وفارس وخريوهما دون أن يصادفوا مقاومة جادة لأن غازان اصطحب معه الى بلاد الشام معظم قواته الرئيسية(٣١) . أما القوى الأوربية المسيحية فقد بادرت الى تهنئة غازان بانتصاره على المماليك ، وأبدت استعدادها للمشاركة فى غزو الأراضى المقدسة واقتسامها مع المغول ، ومن هذه القوى جيمس الثانى ملك أرغونة الذى أرسل الى غازان رسالة مؤرخة فى مايو سنة ١٣٠٠م تحمل عنوان « الى الملك الأقوى والأعظم غازان ملك المغول ، ملك ملوك كل الشرق » . وقد عرض جيمس فى رسالته تزويد غازان بالسفن والمتطوعين والخيول وكل الامدادات التى قد يحتاج اليها . وفى مقابل ذلك فقد طلب جيمس من غازان أن يسلم له خمس الأراضى المقدسة التى غزاها حديثا وكل الأراضى التى سيغزوها ، وأن يكون لرعايا جيمس امتيازات زيارة القبر المقدس والأماكن المقدسة الأخرى دون دفع أية ضرائب(٣٢) . ولم تخرج الوعود الأوروبية الى حيز التنفيذ ، ففضلا عن شروطها التعسفية،فان تلك القوى كانت غارقة فى مشاكلها الخاصة آنذاك(٣٣) .

---

(٣٠)رشيد الدين : المصدر السابق مجلد ٢جا مقدمه كاترمير ص ١٥ .

(31) Sykes, A History of Persia, Vol. 111, p. 111; Grousset, op. cit., p. 458; Blochet, op. cit., p. 397.

(32) Howorth, op. cit., p. 111, p. 488.

(٣٣) مصطفى طه بدر : مغول ايران ص٦٦ — ٧٠ .

Scanned with CamScanner

ورحل غازان عن بلاد الشام فى ١٢ جمادى الأولى سنه ٦٩٩هـ / أوائل فبراير ١٣٠٠م بعد أن ترك حامية مغولية تحت قيادة قطلوشاه ، كما أعلن عزمه على العودة الى بلاد الشام مرة أخرى فى كتاب بعث به الى دمشق قال فيه « انا قد تركنا نوابنا بالشام فى ستين ألف مقاتل ، وفى عزمنا العود اليها فى زمن الخريف والدخول الى الديار المصرية وفتحها » . وقد كافأ غازان الأمراء المماليك الذين فروا اليه واشتركوا فى المعركة ضد السلطان الناصر محمد بتعيينهم نوابا فى المدن الشامية (٣٤) ، فجعل قبجق نائبا فى دمشق ، وبكتمر فى حلب وحمص وحماه ، والألبكى فى صفد وطرابلس وساحل فلسطين ، ومع كل نائب من هؤلاء حامية مغولية ، ويخضع الجميع لقيادة قطلوشاه(٣٥) . ويبدو أن ذلك التوزيع لم يرق للامراء المماليك الذين وجدوا أنفسهم يعملون فى خدمة المغول دون أن تكون لهم سلطة حقيقية أو مشورة ، فغيروا من رأيهم وعادوا الى طاعة الناصر محمد بن قلاوون من جديد(٣٦) . وبالاضافة الى ذلك فقد نجح قبجق فى رشوة القائد المغولى قطلوشاه وأقنعه بمغادرة دمشق ، فرحل عنها فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ٦٩٩هـ / ١٤ فبراير سنة ١٣٠٠م أى بعد عشرة أيام فقط من رحيل غازان(٣٧) ، كما غادر دمشق

---

(٣٤) ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٩ ، فايد عاشور : المرجع السابق ص١٥٣ ،

Blochet, op. cit., p. 398.

(٣٥) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٩٤ ، ابن أيبك : الدر الفاخر ص٣٤ — ٣٥ وقد ذكر بأن قبجق كان نائبا على الشام كله وتصرف كأنه سلطان مستقل ،

Blochet, op. cit., p. 398; Howorth, op. cit., p. 111, p. 446.

(٣٦) ابو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٣ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٥٣ — ٣٥٤ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٩٩ ،
Blochet, op. cit., p. 399

(٣٧) المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ق ٣ ص ٨٩٥ — ٨٩٦ ،
Blochet, op. cit., p. 398.

Scanned with CamScanner

أيضا القائد مولاى Molai خليفة قطلوشاه فى القيادة ، ولحق هـو الآخر بغازان بالقرب من الدربند فى ٨ مايو سنة ١٣٠٠م(٣٨) ، فعادت دمشق بذلك مرة أخرى الى حوزة المماليك وأقيمت الخطبة فيها باسـم سلطان مصر فى ١٧ رجب سنة ٦٩٩هـ / أبريل ١٣٠٠م بعد انقطاع مائة يوم(٣٩) • وبذلك فشلت حملة غازان ولم تتحقق أهدافه فى احتـلال بلاد الشـــام •

وشرع السلطان الناصر محمد بن قلاوون منذ وصوله الى القاهرة فى اعداد جيشه من جديد ، وبدأ الوزير ونائب القاهرة فى طلب الأموال اللازمة للحرب من المواطنين فى مصر لاسيما التجار والمتسببين ومن عرف عنهم الغنى والثراء حتى نزل بالناس من ذلك ضرر عظيم(٤٠) • وقد فرض على الأثرياء أن يدفع كل منهم مبلغا يتراوح مابين عشرة دنانير ومائة دينار ، أما أصحاب العقارات فى دمشق فقد طلب منهم أجرة أربعـة أشهر ، وربما كان ذلك أيضا هو مافرض فى القاهرة والفسـطاط(٤١) • واقترض السلطان أيضا من تجار الكارم(٤٢) ، بحيث اجتمع من ذلك كله أموال ضخمة انفقت فى شراء الخيول والرماح والسيوف وكافة الأسلحة التى طلبت من سائر الوجهين القبلى والبحرى حتى ارتفعت أثمانها ارتفاعا باهظا(٤٣) • وعندما اكتمل اعداد الجيش أرسل السلطان فرقة عسكرية

---

(38) Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 389.

(٣٩) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٠٠ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص١١ .

(٤٠) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٩٧ — ٨٩٩ .

(٤١) ابن أيبك : المصدر السابق ص٤٤ ،
Dr. H. Rabie, The financial System of Egypt.., p. 107, 189.

(٤٢) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٩٩ ،
W. J. fischel, «The Spice trade in Mamluk Egypt,» p. 170, in «JESHO» vol. I, part 2, 1958.

(٤٣) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٩٧ .

Scanned with CamScanner

بقيادة الأميرين سلار نائب السلطنة وبيبرس الأستادار الى بلاد الشام، فأعادت النظام والاستقرار وطردت بقايا المغول من حلب ، ففر هؤلاء الى غازان وأخبروه بعودة قبجق وزملائه الى طاعة الناصر محمد(٤٤) ، فاستشاط غازان غضبا وصمم على مهاجمة بلاد الشام من جديد .

واختار غازان شتاء عام ٧٠٠هـ / ١٣٠١م موعدا لهجومه الجديد الذى لم تكن نتائجه بأفضل من نتائج الهجوم السابق . فقد تقدم قطلوشاه على رأس مقدمة الجيش المغولى ، أما غازان فقد عبر الفرات فى أوائل يناير سنة ١٣٠١م عند قلعة جعبر ، ثم زحف الى قرب حلب فى الفترة مابين ١٧ ، ١٩ يناير ١٣٠١م / جمادى الأولى سنة ٧٠٠هـ ثم أرسل من ذلك المكان فرقه العسكرية الى جبال انطاكية وسماق حيث أسرت قواته كثيرا من السكان فضلا عن نهب الخيول والماشية(٤٥) . وفى تلك الأثناء عم الخوف والاضطراب فى بلاد الشام وأسرع كثير من الناس بالهرب ، وطلب نائب دمشق والأمراء بها من الشيخ تقى الدين بن تيمية أن يذهب الى مصر ليحث السلطان للاسراع بقواته لمواجهة المغول . ويروى المؤرخون أن ابن تيمية قال للسلطان وللامراء : « ان كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله فى زمن الأمن » . ثم قال لهم : « لو قدر انكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه ، وهم رعاياكم وأنتم مسئولون عنهم »(٤٦) . وما أن وصل السلطان بقواته الى غزه حتى بلغه انسحاب الايلخان محمود غازان من بلاد الشام وعبوره الفرات فى أوائل فبراير ١٣٠١م / جمادى الثانى ٧٠٠هـ عائدا

---

(٤٤) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٠٠ — ٩٠١ ، فايد عاشور، المرجع السابق ص١٥٧ .

(45) Howorth, op. cit., p. 111, p. 454-455.

(٤٦) ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٤ ص١٥ .

Scanned with CamScanner

الى بلاده من ناحية الرقة ، فانسحب السلطان الناصر بدوره الى مصر(٤٧)

وكانت الأسباب الظاهرية المعلنة لانسحاب المغول هى أن غازان لم يتسلم تقارير عن تحركات المصريين لمواجهته ، فآثر انقاذ المدن الاسلامية من الدمار ومن سفك دماء المؤمنين(٤٨) ، كذلك سوء الأحوال الجوية والأمطار والثلوج التى أهلكت معظم خيوله حتى انخفض عددها من اثنى عشر ألفا الى ألفين فقط(٤٩) . غير أن تلك الحجج مع وجاهتها وأهميتها البالغة لا تبرر وحدها سرعة انسحاب غازان ، فلم يهتم المغول كثيرا بموضوع انقاذ المدن الاسلامية فى حملاتهم السابقة ، كما أن الظروف الجوية السيئة قد أصابت قوات الناصر محمد أيضا(٥٠) ، ولم يكن فى استطاعة قوات المماليك أن تتقدم أكثر مما وصلت اليه الا بخسائر فادحة فى الدواب والمؤن والأفراد . ويضاف الى ذلك أن تقلبات المناخ والأمطار والثلوج لم تكن فى يوم من الأيام سببا لايقاف العمليات العسكرية لجيوش المغول منذ أيام جنكيز خان وأوكتاى ومنكوخان ، فقد فتحت قواتهم البلاد من الصين حتى ايران(٥١) . ويبدو أن السبب الحقيقى

---

(٤٧) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٠٨ — ٩٠٩ ،
Howorth, op. cit., p. 111, p. 455.

(48) Howorth, op. cit., p. 111, p. 456.

(٤٩) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٠٩ ،

Sykes, op. cit., Vol. 11, p. 112; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 389 ;

Howorth, op. cit., p. 111, p. 455; Browne, A lit. Hist., Vol. III, p. 42; Blochet, Op. Cit., p. 400; Wiet, op. cit., p. 473.

وانظر أيضا : فايد عاشور : المرجع السابق ص١٦٢ .

(٥٠) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٥ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٥٥ ، ابن أيبك : المصدر السابق ص٤٥ — ٤٦ .

(51) Blochet, op cit., p. 400.

Scanned with CamScanner

لسرعة انسحاب غازان هو وجود تحالف بينه وبين ملك أرمينيا والغرب المسيحى ممثلا فى ملك قبرس للقيام بهجوم مشترك على أراضى سلطنة المماليك • ولما لم تنفذ القوى الصليبية الغربية وعدها لأسباب خاصة أو خشية عواقب تلك المغامرة غير المأمونة أدرك غازان أنه لن يستطيع بمفرده تحقيق مشروعاته فى بلاد الشام فآثر السلامة والانسحاب بعد أن بلغته الاستعدادات الهائلة التى قام بها الناصر محمد للقائه(٥٢) • ومن الواضح أن خطة غازان العسكرية تؤيد ذلك ، فاهتمامه بارسال قواته الى انطاكية يعنى الاهتمام بمنطقة الساحل تمهيدا لنزول قوات صليبية عليها • وقد جرت محاولة صليبية من ذلك القبيل فى عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م على ساحل بيروت فى أثناء حملة غازان الأولى وقد باءت بالفشل بسبب الرياح التى حطمت السفن الصليبية(٥٣) •

ولم يقلل فشل غازان فى حملتيه السابقتين على بلاد الشام من نواياه التوسعية ، ولا من رغبته فى هزيمة المماليك • ولكى يبرر فشله من ناحية ، ويلقى الرعب فى قلب الناصر محمد من ناحية أخرى أرسل غازان سفارة الى القاهرة فى أواخر عام ٧٠٠ هـ/أغسطس ١٣٠١م تحمل خطابا يحوى عبارات خلط فيها اللين بالشدة ، وحمل المماليك مسئولية الهجمات السابقة للمغول على بلاد الشام • وكان أخطر ما فى الخطاب هو التهديد بالحرب ما لم يبادر الناصر بتقديم التحف والهدايا الى غازان(٥٤) ، فضلا عن اقامة الخطبة والسكة باسم غازان مع تقديم جزية

---

(52) Howorth, op. cit., p. 111, p. 456; Blochet, op. cit., p. 400.

(٥٣) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٨٧٥ ، وأنظر ماسبق ص ٤٥ هامش ٨ •

٥٤) نفسه ص٩١٥ — ٩١٦ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٦ ، Blochet, op cit., p. 401; Howorth, op. cit., p. 111, p. 458; وأنظر أيضا : د. فهمى : المرجع السابق ص٢٠٧ ، د. سرور : دولة بنى قلاوون ص ١٨٩ — ١٩٠ •

Scanned with CamScanner

سنوية له[٥٥] • وقد رفض الناصر محمد هذه الشروط على الفور لأنها تحمل معنى الخضوع والتبعية من جانبه لايلخان المغول ، وقد رد الناصر برسالة أخرى أشد لهجة من رسالة غازان[٥٦] • والواقع أن تلك النغمة فى خطاب غازان لم يكن لها آنذاك ما يبررها فاذا كان خانات المغول قد درجوا منذ أيام جنكيز خان على ارسال خطابات التهديد والوعيد الى حكام الدول قبل مهاجمتهم ، كما ادعى الخانات دائما أن سلطتهم مستمدة من السماء ، اذا كان ذلك قد حدث قبل عصر غازان ، فان تلك الدعوى قد انتهى زمانها ، وأصبحت دولة مغول فارس تعيش فى ظروف سياسية مغايرة تماما لظروف المغول الأولى • فأعداء غازان الأقوياء يحيطون به فى الشمال والشرق ، لاسيما مغول القبيلة الذهبية الذين طالب خانهم — طقطاى بن منكوتمر — غازان بالتخلى عن ولايتى أران واذربيجان بدعوى أن جنكيز خان قد خصصهما من قبل لأحفاد جوشى[٥٧] ، مما جعل امكانية وقوع الحرب بين مغول فارس ومغول القبيلة الذهبية محتملا فى أى وقت •

ويبدو أن رغبة غازان الملحة فى الحاق الهزيمة بالمماليك قد جعلته لايحسن تقدير موقفه العسكرى كما ينبغى ، فأخذ يخطط من جديد لحملة عسكرية كبيرة على بلاد الشام ، ومن أجل ذلك أرسل فى أبريل سنة ١٣٠٢ م رسالة الى البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII يحثه فيها

---

(٥٥) البدليسى : شرف نامه ج٢ ص١٩ ، وأنظر أيضا رواية ميرخوند فى:
Howorth, op. cit., p. 111, p. 464-465 ;
أنظر أيضا ملخص كتاب غازان ورد الناصر علية فى القلقشندى : صبح الأعشى ج٧ ص٢٤٢ — ٢٥٠ .

(٥٦) ابن أيبك : المصدر السابق ص٦٦ — ٧٠ ،
Howorth, op. cit., p. 111, p. 458-461.
وانظر أيضا : فهمى : المرجع السابق ص٢٠٨ .

(57) Blochet, op cit., p. 401; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 392.

Scanned with CamScanner

على دعوة حكام أوربا لارسال قواتهم للاشتراك فى الحملة المزمع قيامه بها ، والتى أصبحت هدفه الوحيد • كما أرسل غازان القائد قطلوشاه الى جورجيا لجمع القوات العسكرية وارسالها الى ديار بكر للالتحاق بالقوات المغولية المحتشدة هناك(٥٨) • واتخذ غازان من قيام المماليك بحملة عسكرية على سيس فى أرمينيا أواخر عام ٧٠١هـ / ١٣٠٢م لتأديب ملك الأرمن على تأخيره ارسال المال المقرر عليه لسلطان مصر(٥٩) ، اتخذ غازان من تلك الحملة ذريعة لمعاودة الهجوم على بلاد الشام ، فزحف على رأس قواته فى أوائل عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م ووصل حتى منطقة الرحبة ، كما أرسل القائد قطلوشاه على رأس ثمانين ألف جندى لمهاجمة دمشق(٦٠) • وسعى غازان الى بث الفرقة بين قوات المماليك ، فأرسل الى الأمير عز الدين الأفرم نائب دمشق يرغبه فى الدخول فى طاعته(٦١) وأدرك قطلوشاه بخبرته فى المعارك السابقة فى بلاد الشام أن دمشق لن تستسلم بسهولة لمناعة قلعتها • وعلى ذلك وجد من المناسب البدء بملاقاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى كان قد وصل هو الاخر الى ظاهر دمشق مع كبار أمرائه وقواته فى رمضان من نفس العام ٧٠٢ هـ/١٣٠٣ م(٦٢) •

---

(58) Cam. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 390-391.

(٥٩) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٦ — ٤٧ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٢٢ — ٩٢٣ ،

Wiet, op. cit., p. 474.

(٦٠) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٣٠ ، ٩٣١ — ٩٣٢ •

ويذكر هوورث أن قوات المغول تحت قيادة قطلوشاه بلغت خمسين الفا وبها فرقتان من الأرمن والجورجيين • أنظر :

Howorth, op cit., p. 111, p. 469.

(٦١) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ملحق رقم ١٥ ص١٠٤٢ — ١٠٤٧

(٦٢) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٣٢ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٢٤ — ٢٥ •

Scanned with CamScanner

ووقع الصدام المرتقب بين الجانبين المملوكى والمغولى عند مرج الصفر بالقرب من شقحب يوم ٢ رمضان ٧٠٢ هـ/١٩ أبريل ١٣٠٣ م . وقد أدرك المماليك ما سوف يترتب على هزيمتهم فى تلك المعركة الفاصلة من ضياع بلاد الشام وتهديد مصر ذاتها ، فأطماع غازان لا حدود لها . وقد تواصى كبار الأمراء على الثبات فى المعركة ، كما قام الشيخ تقى الدين ابن تيمية بدور كبير فى رفع الروح المعنوية للمماليك وحثهم على قتال المغول(٦٣) . وهكذا فانه بعد قتال شديد استمر ثلاثة أيام بين الجانبين نجح المماليك فى الاحاطة بقوات قطلوشاه والحاق الهزيمة الساحقة بها وهى تحاول الفرار من ميدان المعركة برغم كثرة عددها بالقياس الى قوات المماليك . وكانت مقدمة الجيش المغولى وعددها حوالى عشرة آلاف فارس قد لقيت هزيمة أخرى عند موضع يقال له الكوم أو «عرض» على يد قوات حماه وحلب(٦٤) . ومنى المغول بخسائر فادحة من القتلى والأسرى خلال هذه المعارك مع المماليك تفوق ما لحق بهم فى أى معركة سابقة حتى بلغ عدد الأسرى فقط عشرة آلاف أسير كان من بينهم عدد من كبار

---

(٦٣) ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٢٣ ، ٢٦ .

(٦٤) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٣٢ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٨ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٥٨ ،

Sykes, op. cit., Vol. 11, p. 112; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 394 ;

وانظر أيضا : د. سرور : المرجع السابق ص١٩٧ ، د. فايد عاشور : المرجع السابق ص١٦٦ — ١٦٧ ، د. فهمى : المرجع السابق ص٢٠٩ .

هذا ، ورواية المؤرخ الأرمنى هيتون Haithon الذى يذكر أنه كان شاهد عيان تختلف فى تفاصيلها عن رواية المؤرخين المصريين ، وقد ارجع هيتون انتصار المماليك الى المصادفة وسوء قيادة قطلوشاه الذى لم يكن يستمع الى نصيحة أحد . لمزيد من التفاصيل أنظر :

Howorth, op. cit., p. 111, p. 470-472.

Scanned with CamScanner

الضباط[٦٥] . ومن نجا من المغول وحاول الهرب الى الفرات ضل طريقه فى الصحراء فهلك من الجوع والعطش أو تخطفته أيدى الأعراب[٦٦] . أما الناصر محمد فاحتفل بانتصاره فى دمشق طيلة شهر رمضان سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، وعند قدومه الى القاهرة ففى شوال من نفس العام بالغ الناس فى اظهار سرورهم باقامة أقواس النصر والملاهى . وأقبل أهل الريف الى القاهرة لمشاهدة موكب السلطان ومعه الأسرى المغول ، وقد طلب سائر المغنين العرب من أعمال مصر كلها لاقامة الاحتفالات[٦٧] . وحق للسلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد انتصاره الساحق على قوات المغول أن يشعر بالكبرياء والاعتداد بالنفس حتى أنه أرسل الى غازان رسالة تهكم فيها عليه وطلب منه الجلاء عن العراق لاعادتها الى الخلافة العباسية[٦٨] .

وأحس غازان بذل الهزيمة على الرغم من أنه لم يشترك شخصيا فى المعركة بل ظل قابعا عند الفرات يرقب نتائجها من بعد خشية استغلال أعدائه مغول القبيلة الذهبية والمغول الجغطائيين غيابه والهجوم على بلاده . وكان من أثر هذه المعركة أن أصيب غازان بنزيف الدم حتى أشرف على الهلاك ، فصب جام غضبه على قطلوشاه وأهانه اهانة بالغة وأوشك

---

(٦٥) النويرى : نهاية الأرب جـ٣٠ حوادث سنة ٧٠٢هـ أوراق ٧ ، ٨ ، ٩ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه جـ١ ص٢٤٥ ، ٢٤٧ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٨ — ٤٩ ، د. فهمى : المرجع السابق ص٢١٠ ،
Blochet, op. cit., p. 402; S. Lane Poole, op. cit., p. 298-299; Howorth, op. cit., p. III, p. 470-472.

(٦٦) ابو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٤٨ ، ٤٩ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٥٩ ، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٣٦ — ٩٣٧ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص١٦٣ — ١٦٤ .

(٦٧) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٣٨ — ٩٣٩ ، وانظر أيضا Browne, A lit. Hist. of Persia, III, p. 42 ; Howorth, op. cit., p. 111, p. 474.

(٦٨) ابن ايبك : المصدر السابق ص١٢١ — ١٢٢ ، د. فهمى : المرجع السابق ص٢١٠ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص٥٠ .

Scanned with CamScanner

على قتله ، كما ضرب القائد بولاى[٦٩] . وأقام محاكمة لكبار الضباط المغول الذين اشتركوا فى قيادة الحملة على الشام وأعدم اثنين منهما[٧٠] . وأراد غازان الانتقام من الناصر محمد بن قلاوون فمنع سفراءه الذين كانوا فى فارس من العودة الى مصر ، فظلوا محتجزين لديه حتى مات فعادوا فى أيام خليفته خدابندا[٧١] . وقد دفع الشعور والرغبة فى الانتقام والثأر غازان الى التفكير فى حملة جديدة على مصر ، لكن مرضه من ناحية ، وصدى هزائمه ، وعداء أقربائه مغول القبيلة الذهبية من ناحية أخرى ، أقنعه بأن قواته العسكرية ليست كافية لمواجهة سلطان مصر[٧٢] .

واقترح غازان من جديد على الغرب المسيحى العمل المشترك ضد مصر ، وأرسل من أجل ذلك سفارة عام ٧٠٣ هـ/١٣٠٣ م الى ملكى فرنسا وانجلترا يحثهما على الهجوم على مصر أو سوريا فى الوقت الذى يهاجم فيه غازان من الشمال بلاد الشام ، فتتشتت قوة المماليك العسكرية عندئذ فى مواجهة ذلك التحالف . ويبدو أن سفراء غازان وهم من المسيحيين[٧٣] قد تجاوزوا المهمة المحددة لهم وهى العمل على طلب دعم ومساعدة القوى المسيحية الغربية لغازان فى حملته على بلاد الشام

---

(٦٩) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٣٧ — ٩٣٨ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٨ ص ١٦٤ — ١٦٥ ؛ د. فايد عاشور : المرجع السابق ص١٧٢ .

(70) Howorth, op cit., p. 111, p. 475.

(٧١) النويرى : نهاية الأرب جـ٣٠ حوادث سنة ٧٠٢هـ/ورقة ٤ ؛ سنة ٧٠٤هـ ورقة ٢٣ .

(72) Blochet, op. cit., p. 402.

(٧٣) كان السفير الرئيسى لغازان الى الغرب الأوربى هو بوسكارل Buscarel وهو نفس السفير الذى أرسله أرغون من قبل . أنظر :
Howorth, op. cit., p. 111, p. 489.

Scanned with CamScanner

فأشاع هؤلاء السفراء رغبة غازان فى اعتناق المسيحية[٧٤]، على اعتبار أنها الوسيلة الوحيدة لاقناع القوى الاوروبية بمساعدة غازان • وقد كانت تلك نغمة درج عليها بعض خانات المغول على الرغم من أن الخانات لم يجحدوا بوذيتهم الى أن اعتنقوا الاسلام • والتفسير المقبول لتلك الشائعة هو أن ذلك الادعاء قد صدر من جانب السفراء دون علم غازان أو أن هؤلاء السفراء لم يكونوا مفوضين رسميا من قبله[٧٥] • ومهما كان الأمر فقد ذهبت جهود غازان فى محاولة اشراك القوى الاوروبية فى مشروعاته التوسعية سدى ، ومات فى شوال سنة ٧٠٣ هـ/مايو ١٣٠٤ م كمدا من هزيمة قواته فى مرج الصفر قبل أن يثأر لنفسه من المماليك[٧٦] •

الناصر محمد بن قلاوون وأولجايتو (خدابندا) :

وتولى الحكم فى دولة مغول فارس بعد وفاة غازان أخوه أولجايتو خدابندا — أو خربنده — فى ١٣ ذى الحجة سنة ٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م على الرغم من أنه لم يكن على نفس المستوى من الكفاية[٧٧] • وكان أولجايتو

---

(74) Blochet, op. cit., p. 402-403 ; Howorth, op cit., p. 111, p. 488-489.

(75) Blochet, op. cit., p. 402 ;

وتؤيد الوصية التى تركها غازان ذلك التفسير ، فهى تشير الى تمسك غازان بالاسلام ، والى أن خليفته سيعلى من شأن الاسلام والمسلمين • أنظر :

Howorth, op. cit., p. 111, p. 489-490.

(٧٦) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٥٠ •

(77) Blochet, op. cit., p. 403 ;

وكان أولجايتو قد هرب بعد وفاة أبيه أرغون الى نواحى شيراز وكرمان وذلك خوفا من أخيه غازان ، فاختلط أولجايتو هناك بالخربندكية والمكاريين لفترة طويلة فأطلق الناس عليه لقب خربنده بمعنى « الحمار » • أنظر : البدليسى : شرف نامه جـ٢ ص٢٠ ؛

Browne, op. cit., Vol. III, p. 47.

Scanned with CamScanner

قد نشأ فى الأصل مسيحيا وتعمد باسم نيقولا ، ثم أصبح بوذيا ، ثم اعتنق الاسلام وتلقب بغياث الدين محمد خدابندا(٧٨) • وسار خدابندا رغم اسلامه على نفس سياسة أسلافه العدائية ضد المماليك كما فعل غازان من قبل • كما أنه أى خدابندا حاول التحالف مع ملوك الغرب المسيحى رغم علمه بعدم جدوى ذلك التحالف • ويبدو أن هدف ايلخانات فارس من تلك المحاولات كان مجرد ارهاب المماليك بعد أن ثبت عدم رغبة القوى الأوربية — بل وعجزها أيضا بسبب مشاغلها الداخلية — فى التورط فى مشاريع صليبية جديدة فى بلاد الشام • وكان أول سفراء خدابندا الى الغرب الاوربى هو السفير توماس الدوش Thomas Eldoutchi الذى ذهب الى كلمنت الخامس والى فيليب الجميل ملك فرنسا ، والى أدوارد الثانى ملك انجلترا • وقد عبر أولجايتو خدابندا فى خطابه الى ملك فرنسا سنة ٧٠٤ هـ/١٣٠٥ م عن سعادته للوفاق القائم بين زعماء الغرب المسيحى وبين سائر قادة المغول من سلالة جنكيزخان ، كما أبدى أولجايتو رغبته فى مواصلة العلاقات الودية بين الجانبين(٧٩) •

كذلك أشار خدابندا الى عودة السلام بين جميع القادة المغول بعد

---

(78) Grousset, op. cit., p. 458; Howorth, op. cit., p. 111, p. 535;
المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ص٩٥٤ ،
ومعنى خدابندا « عبد الله » ومعنى أولجايتو « صاحب الحظ السعيد »
أنظر :
Cam. Hist of Iran. Vol. 5, P. 398.
وأنظر أيضا : ابن بطوطه : تحفة النظار ص١٥٢ واسمه مختلف فيه فهو بالذال أى خذابنده بمعنى عبد الله أو خربنده بمعنى غلام الحمار .

(79) Sykes, op. cit., vol. 11, p. 115; Bertold spuler, history of the Mongols, p. 142-144; Grousset, op. cit., p. 458-460;
Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, 399; Howorth, op. cit., p. 111, p. 574-577; E.D. Phillips, The Mongols, p. 120; Aziz suryal Atiya, The Crusade in the Later Middle ages, p. 256.

Scanned with CamScanner

حروب متصلة بينهم دامت خمسة وأربعين عاما وأنهم الآن قد أصبحوا يدا واحدة على من يخالفهم[٨٠] • والواقع أن اشارة اولجايتو فى ذلك الخطاب الى الوفاق بين جميع قادة المغول من سلالة جنكيزخان لم يكن الا نوعا من الأمانى التى قصد بها اقناع الغرب الاوروبى بوجود قوة خطيرة فى الشرق يمكنها تنفيذ ما عجز عنه الغرب المسيحى طيلة قرنين من الزمان ألا وهو الاحتلال الدائم لبلاد الشام والاستيلاء على الأراضى المقدسة • فالمجموعات المغولية المختلفة قد اندمجت كل مجموعة منها فى حضارة المنطقة التى احتلتها وعاشت فيها • وحقيقة قد عمل غازان من قبل على عودة الوحدة المغولية ، غير أن تلك الجهود لم يكن لها من أثر ملموس • كذلك فان أولجايتو فى مجال بعث هذه الوحدة المفقودة استقبل فى المراغة فى أغسطس سنة ١٣٠٤م سفير الخاقان تيمور — ١٢٩٤م — ١٣٠٧م — حفيد قوبيلاى وخليفته ، كما استقبل أولجايتو أيضا سفراء جابار Chabar ابن قايدو ، ودوا Dua بن بوراق وهم من المغول الجغطائيين فى مهمة لانهاء المنازعات بين مختلف الفروع المغولية من بيت جنكيزخان ، كما استقبل أولجاتو أيضا سفراء طقطاى خان القبيلة الذهبية[٨١] • غير أن تلك المساعى كلها لم تكن لها نتائج ايجابية لأن فكرة غزو العالم التى كانت الدافع لوحدة المغول وارسال الجيوش المغولية الى شتى أنحاء العالم قد انتهت ، ولم يعد هناك امكانية عمل عسكرى مشترك لأن كل دولة مغولية أصبحت مهتمة بمصالحها الخاصة ، ولم يكن للاعتراف بتيمور حفيد قوبيلاى خانا أعظم للمغول من ميزة سوى بقاء السلام لفترة وجيزة بهدف تشجيع التجارة فيما بينهم[٨٢] •

---

(٨٠) انظر نص الخطاب فى :

Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 399.

(81) Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 398-399.

(82) M Prawdin, op. cit., p. 378.

Scanned with CamScanner

وكان خدابندا بعد توليه الحكم قد أطلق سراح سفراء الناصر محمد ابن قلاوون المحتجزين فى فارس منذ أيام غازان[٨٣] ، كما كتب الى الناصر محمد فى طلب الصلح واخماد الفتنة ، واطلاق سراح أحد الأمراء المغول الذى أسره المماليك[٨٤] . ويبدو أن السبب الرئيسى الذى دفع خدابندا الى السعى لتحسين علاقاته مع مصر هو توتر علاقاته مع مغول القفجاق وأنه قد توافرت لديه معلومات عن استعدادات مغول القفجاق للقيام بهجوم على بلاده ، فأراد أن يتفرغ للقتال فى جبهة واحدة[٨٥] . كما كان خدابندا يهدف الى كسب الوقت ريثما يتم استعداداته العسكرية ويتلقى ردا على النداء الذى وجهه الى زعماء الغرب المسيحى[٨٦] . ومهما كان الأمر فقد استجاب الناصر محمد الى مساعى الصلح وعبر عن ذلك برفضه طلب طقطاى خان القفجاق مساعدته فى الحرب ضد خدابندا[٨٧] . غير أن العلاقات سرعان ماساءت بين خدابندا والناصر محمد بسبب هروب الأمير المغولى جنكلى بن البابا حاكم ديار بكر الى القاهرة واستقبال الناصر له استقبالا وديا[٨٨] ، كما أعطاه الناصر امرة ألف لأنه كان « يناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات التتر ، فلهذا أعظم شأنه فى الدولة

---

(٨٣) ابن ايبك : المصدر السابق ص ١٢٧ ، ١٢٨ ،
Howorth, op. cit., p. 111, p. 536-537.

(٨٤) النويرى : نهاية الأرب ج٣٠ حوادث سنة ٧٠٤ هـ ورقة ٢٣ ،
Browne, op. cit., Vol. 111, p. 49; Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 399; Howorth, op cit., p. 111, p. 537.

(٨٥) ابن أيبك : المصدر السابق ص١٢٧ — ١٢٨ ، ابن أبى الفضائل : تاريخه ص١٠٥ — ١٠٧ فى :
P. O. Tome XX 1928.

(86) Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 399.

(٨٧) المقريزى : كتاب السلوك الجزء الثانى القسم الأول ص٧ .

(٨٨) النويرى : المصدر السابق ج٣٠ حوادث سنة ٧٠٣هـ ورقة ١٩ ، ابن أيبك : المصدر السابق ص١١٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢ ص٧٦ — ٧٧ وقد ذكر أن مقام الأمير جنكلى كان بالقرب من آمد تحت حكم المغول وبيده راس عين من قبل غازان الى أن طلب الى الديار المصرية .

Scanned with CamScanner

الناصرية »[٨٩] . كذلك ساءت العلاقات بين الجانبين بسبب اشتراك قوات المغول مع الأرمن فى الهجوم على قوات المماليك التى ذهبت سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م لمطالبة ملك أرمينيا بالمال المقرر عليه لسلطان مصر ، فقد قامت قوات المغول بأسر بعض الأمراء المماليك وأرسلتهم الى خدابندا الذى احتفظ بهم ورفض اطلاق سراحهم[٩٠] .

ولم تسمح التطورات السياسية فى مصر للناصر بالرد على السلوك العدائى لخدابندا ،ومع أن طقطاى خان القفجاق قد كرر طلبه الى الناصر عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م ارسال قوات المماليك الى منطقة الفرات للاشتراك فى الحرب التى يخوضها ضد خدابندا والاستيلاء على أراضيه واقتسامها[٩١] ، كما أن خدابندا عاود الاتصال بالقوى المسيحية الأوربية من أجل حشد الجهود المشتركة ضد المماليك[٩٢] الا أن الناصر لم يستطع مواجهة المغول بسبب تضاؤل نفوذه فى مصر وسيطرة الأميرين سلار وبيبرس الجاشنكير وهيمنتهما على شئون الحكم حتى أصبح الناصر محمد عاجزا عن التصرف معهما فقرر فى رمضان سنة ٧٠٨هـ / مارس ١٣٠٩م اعتزال الحكم والاقامة فى الكرك بعد أن خرج من مصر مدعيا السفر للحج[٩٣] . وقد رحب المماليك البرجية فى مصر وزعيمهم بيبرس باعتزال

---

(٨٩) ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٢٩ .

(٩٠) النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧٠٥هـ ورقة ٢٧ ، المقريزى المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١٦ — ١٧ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 556.

(٩١) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢٧ — ٢٨ .

(92) Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 402.

(٩٣) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٥٥ ، النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ حوادث سنة ٧٠٨هـ ورقة ٤٨ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ١ ص٢٨٦ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٤٣ — ٤٥ ، ابن شاكر : فوات الوفيات جـ٢ ص٥٢١ — ٥٢٢ ،

Wiet. op. cit., p. 476; S. Lane Poole, op. cit., 304-305.

Scanned with CamScanner

الناصر ، فقد خلا الجو لهم ، واعتلى بيبرس عرش السلطنة بمشورة سلار وتأييد البرجية(٩٤) . غير أن الأمر لم يستقر تماما لبيبرس الجاشنكير ، فاستمر البرجية فى تحريضه ضد سلار الذى تولى نيابة السلطنة حتى اتسعت هوة الخلاف بينهما واحترس كل منهما من الاخر . وأخيرا نشبت الفتنة التى لا مفر منها فى مثل تلك الظروف ، وانتهى الأمر بهروب بيبرس بعد أقل من عام من توليه السلطنة ، ثم عاد الناصر محمد الى الحكم مرة ثالثة عام ٧٠٩هـ / مارس ١٣١٠م ،فى حين قبض على بيبرس وقتل(٩٥) .

---

(٩٤) النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧٠٨هـ ورقة ٤٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٤٦ .

(٩٥) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٥٧ — ٥٩ ، النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧٠٩هـ أوراق : ٥٠ — ٥٢ ، ٥٧ — ٥٨ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٥٨ ، ٥٩ — ٧١ ، ٨١ .

Scanned with CamScanner

الفصل الثالث

المغول والمماليك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون

الفتـــرة الثالثة من حكمه : ٧٠٩هـ ــ ٧٤١هـ/١٣١٠م ــ ١٣٤١م

الناصر محمد بن قلاوون وأولجايتو « خدابندا »

الناصر محمد بن قلاوون وأبو ســـــعيد

أبناء الناصر محمد بن قلاوون ودويلات مغول فارس حتى ظهــور تيمــورلنك •

Scanned with CamScanner

الفصـــل الثالث

المغول والمماليك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون

الفتـــرة الثالثة من حكمه : ٧٠٩هـ ــ ٧٤١هـ/١٣١٠م ــ ١٣٤١م

وحدثت فى داخل دولة مغول فارس مشكلات عديدة شغلت أولجايتو عن التفكير فى الهجوم على أراضى دولة المماليك ، لاسيما أنه لم يتلق ردودا ايجابية من القوى الغربية [1] • فالمشكلات الداخلية والخارجية التى نشأت فى دولة المغول منذ أيام غازان تفجرت فى أثناء حكم أولجايتو [2] ، وسعت أقاليم كثيرة اما للانفصال أو الثورة على الحكومة المركزية ، فالأمير فخر الدين وهو من أسرة كرت Kert فى هراة بأفغانستان اتجه الى الاستقلال ، واستدعى ذلك من أولجايتو ارسال حملتين عسكريتين سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م ، ٧٠٧هـ/١٣٠٧م حتى تم القضاء على التمرد • ثم ان انقراض الأسرة السلجوقية منذ سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م من آسيا الصغرى جعل المغول وجها لوجه ضد الأمراء الترك الذين كانوا يسعون لاقامة امارات مستقلة لهم فى غياب سلطة مركزية قوية • ومن هؤلاء الأمير محمود بك القرمانى الذى أصبح سيدا فى قونية منذ سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م حتى سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م ، فاضطر أولجايتو الى أن يرسل حملة عسكرية بقيادة القائد جوبان Tchopan هذا بالاضافة الى سعى العثمانيين الذين ركزوا أنفسهم فى شمال غرب فريجيا وبيثينيا الى توسيع أراضيهم على حساب الامبراطورية البيزنطية وهددوا مدينة نيقية ، فأسرع الامبراطور البيزنطى أندرونيقوس الثانى الى طلب التحالف مع أولجايتو وعرض عليه شقيقته ماريا للزواج بها ، وبسبب ذلك التحالف

---

(1) Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 402-403.

(2) Blochet, op. cit., p. 404.

Scanned with CamScanner

ذهبت قوة مغولية اغزو الأقاليم العثمانية فى اسكى شهر[٣] • أما فى جيلان فقد اضطربت الأمور على أولجايتو حتى استدعى الأمر ارسال حملة عسكرية باهظة التكاليف فى سنة ٧١٠هـ/١٣١١م[٤] •

وأدت التكاليف المالية الباهظة التى تكبدها أولجايتو فى حـــروبه الى مشـــكلات داخلية خطيرة وأزمة مالية مستحكمة ، فقام أولجايتو باعدام وزيره سعد الدين الساوجى سنة ٧١١هـ/١٣١٢م ، وعين مكانه على بادشاه على أمل اصلاح الحالة الاقتصادية • غير أن ذلك لم يحل المشـــكلة لأن الوزير الجديد كان تاجر أقمشة ومجوهرات وليست لديه خبرة سابقة فى الشـــئون المالية والادارية ، فزادت الحالة سوءا حتى اســـتدعى الأمر تخفيض قيمة العملة من ٤ر٢٧ جرام للدينار الى ٣ر٩٢ جرام فى سنة ٧١٣هـ/١٣١٣ م • ولم يؤد ذلك الاجراء أيضـــا الى تحســـين الموقف الاقتصادى كما ازدادت الاضطرابات الســـياسية فى البلاد وحدثت انقسامات حادة فى الولايات الشرقية لاسيما خراسان ، واضطر أولجايتو عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م الى تعيين ابنه حاكما هناك رغم أن عمره لم يكن يزيد آنذاك على تسع سنوات ، فترك معه الأمير المغولى سونج اتابكا له وعدد آخر من كبار الأمراء •وقد سببت النفقات العسكرية لجيش خراســـان اضطرابات واسعة فى البلاد وشقاقا بين الوزيرين على شاه ورشـــيد الدين منذ سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م حتى وفاة خدابندا سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م ، هذا فضلا عن تهديد المغول الجغطائيين لخراسان وهزيمتهم لقوات مغول

---

(3) Grousset, op. cit., p. 460-461.

(4) Sykes, op. cit., Vol. 11, p. 114; Sheila S. Blair, «The Coins of the Later Ilkhanids, p. 298, in «JESHO» Vol. XXVI, Part 111, 1983.

Scanned with CamScanner

فارس سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م[٥] .

واذا كانت الأوضاع السيئة داخل دولة مغول فارس والتهديدات الخارجية لها قد حالت دون قيام خدابندا بهجوم على أراضى المماليك ، الا أنه لم يتوقف عن الممارسات العدائية ضد مصر ما استطاع الى ذلك سبيلا . من ذلك ايواؤه الأمراء المماليك الهاربين من وجه الناصر محمد بن قلاوون مثل الأمير قراسنقر نائب حلب ، والأمير جمال الدين الأفرم نائب طرابلس اللذين فرا اليه بصحبة خمسمائة من الفرسان ، فاستقبلهما خدابندا استقبالا حسنا وأقطعهما اقطاعات جليلة ، اذ أعطى قراسنقر، المراغة ، كما أعطى الأفرم همدان[٦] . ويبدو أن قراسنقر والأفرم — قدما معلومات الى خدابندا عن تدهور الأوضاع فى دولة المماليك وامكانية الاستيلاء على بلاد الشام بسهولة ، فتذكر خدابندا أحلام الايلخانيين السابقين بضرب دولة المماليك ضربة مميتة ، وأعد جيشه وزحف به بمرافقة قراسنقر والأفرم حتى منطقة الرحبة على الفرات فى رمضان سنة ٧١٢هـ/ يناير ١٣١٣م . وحاصر خدابندا قلعة الرحبة قرابة الشهر حتى أوشكت

---

(5) Sheile, S. Blair, op. cit., p. 298-299, 308-309.

وللمزيد من التفاصيل عن الاضطرابات فى دولة المغول فى عهد أولجايتو أنظر :

Blochet, op. cit., p. 404; Howorth, op. cit., p. 111, p. 560-561; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 405 ;

البدليسى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٢ — ٢٤ .

(٦) النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧١١هـ الأوراق ٧٠ — ٧٤ ، ابن حبيب : تذكرة النبيه الجزء الثانى ص٣٢ ، ٣٧ ، ١٨٣ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١١٥ ، ابن حجر : الدرر جـ٣ ص٣٣٠ — ٣٣٢ ، البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٣ .

Howorth, op. cit., p. 111, p. 564-565 ; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 403 ;

وأنظر أيضا سرور : المرجع السابق ص٢٠٤ . وانظر ترجمة قراسنقر فى : ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى جـ٢ ص٥٣٩ .

Scanned with CamScanner

على التسليم ، لكنه تراجع عنها دون أن يستولى عليها بعد أن وقع العلاء والفناء فى قواته ، ثم أسرع بالانسحاب تاركا آلات الحصار والمجانيق فاستولى عليها سكان الرحبة[٧] . أما الناصر محمد بن قلاوون فقد خرج على رأس قواته لمواجهة خدابندا ، فلما علم بعودة العاهل المغولى ، صرف قواته واتجه الى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، ولم يلبث أن عقد الصلح بين الجانبين فى نفس العام ٧١٢هـ/١٣١٣م[٨] ، فتفرغ خدابندا بذلك لمواجهة تهديدات المغول الجغطائيين فيما وراء النهر حيث هاجم كبك وياسور خراسان سنة ٧١٣هـ/١٣١٤م[٩] ، كما أن مغول القفجاق هاجموا من جانبهم حدود دولة مغول فارس ، فاضطر خدابندا الى الاستعانة بالأمراء المماليك الهاربين اليه فى القتال ضد طقطاى خان القفجاق ، فأرسل طقطاى الى الناصر محمد بن قلاوون يشكو له ما فعله قراسنقر ورفاقه ، وقد استقبل الناصر سفير طقطاى استقبالا حسنا ووعده بمساعدة طقطاى اذا تحرك خدابندا ضده مرة أخرى[١٠] .

ويبدو أن سفارة طقطاى الى الناصر محمد كان لها أثرها فى تعكير العلاقات مرة أخرى بين الناصر محمد وخدابندا ، فلم يستتمر الصلح بينهما الا فترة قصيرة ، لأن الناصر محمد بن قلاوون سعى الى قتل الأمير

---

(٧) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٦٩ — ٧٠ ، البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٣ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١١٥ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٦٦ — ٦٧ ، ابن أيبك : المصدر السابق ص٢٤٦ ، ٢٦٢ ،

Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 403 ; Browne, op. cit., Vol. 111, p. 51; Howorth, op. cit., p. 111, pp. 566-567.

(٨) النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧١٢ هـ ورقة ٧٨ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ٢ ص٤٥ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص ١١٩ ، البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٣ .

(9) E.D. Phillips, The Mongols, p. 121 ;

(١٠) ابن أيبك : المصدر السابق ص٢٧٢ — ٢٨١ ، حياة ناصر الحجى المرجع السابق ص٢٣ — ٢٥ .

Scanned with CamScanner

قراسنقر ، فلما فشل فى ذلك أرسل قواته بقيادة الأمير تنكز نائب الشام فى سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م فاستولت على ملطية وكانت تابعة لخدابندا • غير أن قوات المماليك لم تستطع الاحتفاظ بالمدينة لفترة طويلة ، واستردها الأمير المغـولى جوبان فى نفس العام وحصـنها ووضع فيهـا حامية مغولية(١١) • وتصاعد التوتر بين الجانبين المغولى والمملوكى ، وبوجـه خاص بعد هروب الأمير العربى سليمان بن مهنا الذى نزع عنه السلطان الناصر اقطاعة الى فارس سنة ٧١٥هـ/١٣١٦م وتحريضه خدابندا على الهجوم على بلاد الشام(١٢) ثم أن حميضة بن أبى نمى أمير مكة شـق عصا الطاعة على السلطان الناصر وقطع اسمه من الخطبة وأقامها لصاحب اليمن • فلما أرسل السلطان حملة الى مكة لاعادة الأمور الى نصـابها هرب حميضة بدوره الى فارس وعرض على خدابندا اقامة الخطبة له مقابل مساعدته ضد الناصر محمد • عندئذ طمع خدابندا فى شرف السيادة على مكة حيث أن لحاميها مكانة عالية فى العالم الاسلامى • وجهز خدابندا فرقة عسكرية من الجيش المغولى تقدر بأربعة آلاف رجل لمسـاعدة حميضة ، فى الوقت الذى استعد خدابندا للهجوم على بلاد الشام ليضمن تشتيت قوات المماليك فى أكثر من اتجاه ، غير أن وفاته السريعة حالت دون تنفيـذ رغبته(١٣) •

واذا كانت العلاقات بين سلطنة المماليك ودولة مغول فارس قد وصلت الى درجة سيئة قرب نهاية حكم خدابندا ، فان العلاقات بين المماليـك

---

(١١) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٧٤ — ٧٥ ، ابن أيبـك : المصدر السابق ص٢٨٤—٢٨٥ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١٤٣— ١٤٤ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ٢ ص٦٥ ، ابن الوردى : المصـدر السابق جـ٢ ص٣٧٥ ، ابن كثير : المصـدر السابق جـ١٤ ص٧٣ ، ٧٤ ، النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧١٥هـ ورقة ٨٧ •

(١٢) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١٤٥ ، ١٤٨ ، النويرى : المصدر السـابق جـ٣٠ سنة ٧١٥هـ ورقة ٩٤ •

(١٣) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١٤٧ ، ١٤٨ وأنظر أيضا : أبو الفداء : المصدر السابق جـ ٤ ص٨٠ ، ابن حجر : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦٧ — ١٦٩ •

Scanned with CamScanner

ومغول القفجاق قد أخذت فى التحسن فى تلك الفترة بعد أن كان قد شابها الفتور فى أثناء حكم طقطاى خان القفجاق بسبب ديانته الوثنية والحاحه المستمر على الناصر للدخول معه فى حلف ضد مغول فارس(١٤). فقد أعلن أزبك خليفة طقطاى اسلامه وتبادل الهدايا والسفارات مع الناصر محمد فى سنة ٧١٣هـ/١٣١٤م ثم فى سنة ٧١٥هـ/١٣١٦م(١٥) • ثم خطا الناصر خطوة أخرى على طريق تدعيم العلاقات مع مغول القفجاق عندما سعى للزواج من أميرة مغولية من بيت جنكيز خان وأرسل الى أزبك سفارة فى عام ٧١٧هـ/١٣١٨م للتفاوض من أجل اتمام ذلك المشروع • وقد تردد أزبك فى البداية فى القبول ، وغالى أمراء المغول فى شروطهم حتى عدل السلطان الناصر عن رأيه ، ثم أدرك أزبك فى نهاية الأمر أن من صالحه اتمام ذلك الزواج السياسى تدعيما للروابط مع سلطان مصر فى مواجهة مغول فارس ، فأرسل اميرة المطلوبة بعد ثلاث سنوات أى فى عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م الى القاهرة ومعها هدية فتلقاها الناصر بالتكريم اللائق وتزوجها(١٦) •

---

(١٤) ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص ٦٧ ، حياة ناصر الحجى : المرجع السابق ص٢٧ .

(١٥) النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧١٣هـ ورقة ٨١ ، ٨٢ سنة ٧١٥هـ ورقة ٩٠ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١٤٥ ، حياة ناصر الحجى : المرجع السابق ص٢٨ ، ٢٩ .

(١٦) النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧١٧هـ ورقة ١٠٥ ، سنة ٧٢٠ ورقة ١٣٧ ، ١٣٨ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص١٧٧ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٥ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٤ ص ٩٦ ،
Grousset, op. cit., p. 482 ; S. Lane Poole, op. cit., p. 308 ;

وأنظر أيضا : ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٢ ص٣٤٣ ، ٣٤٤ ترجمة ازبك ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ،

حياة ناصر حجى : المرجع السابق ص٣٣ — ٣٥ وترى أن الرغبة فى المصاهرة جاءت أصلا من رغبة أزبك خان القفجاق ، وقد أشار ابن خلدون أيضا الى أن الرغبة فى المصاهرة جاءت عن طريق نائب أزبك فى بلاد الروم لسفراء الناصر محمد . أنظر : ابن خلدون العبر المجلد الخامس قسم ٤ جـ١٠ ص٩٢٥ — ٩٢٦ .

Scanned with CamScanner

الناصر محمد بن قلاوون وأبو سعيد :

وكانت قد حدثت فى دولة مغول فارس بعد وفاة خدابندا فى شوال سنة ٧١٦هـ / ديسمبر ١٣١٦م سلسلة من الاضطرابات أوقفت الخطر المغولى على سلطنة المماليك • فقد خلف أبو سعيد أباه خدابندا فى الحكم فى صفر سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م وكان لايزال قاصرا لايتجاوز عمره اثنى عشر عاما • وفى تلك الظروف يكون العرش تحت رحمة كبار الأمراء الذين تتركز السلطة الحقيقية فى أيديهم(١٧) • وكان أهم الأمراء آنذاك هو جوبان الذى أصبحت البلاد كلها خاضعة لنفوذه فثار عليه باقى الأمراء المغول ، وأفضى ذلك الى الجدل والشروع فى القتال ، ثم دارت المعارك بين الفرقاء وخاض غمارها أيضا أبو سعيد مع صغر سنه ، وأبدى فيها بسالة لقب بسببها فيما بعد بلقب « بهادر » أى البطل ، وهو أول من لقب به من ايلخانات المغول • وقد أسفرت الحرب الأهلية عن سقوط العديد من الضحايا من كبار الأمراء سوى الأجناد والأتباع(١٨) • وخلال تلك الاضطرابات أعدم الوزير الكفء المؤرخ الشهير رشيد الدين سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م ونهب الربع الرشيدى فى تبريز وصودرت أوقافه وذلك بتدبير

---

(١٧) البدليسى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥ — ٢٦ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٨٠ ، ٩٦ ،

Sykes, op. cit., Vol. II, p. 115 ; Grousset, op. cit., p. 462 ; Desmaisons, Histoire des Mongols et des Tatares Par Aboul-Ghazi Behadour Khan, p. 174.

(١٨) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٥ — ٢٦ ، ٢٩ — ٣٠ ، النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ سنة ٧١٨هـ أوراق ١٢٣ — ١٢٧ ، ابن حبيب : المصدر السابق جـ٢ ص١٠٥ ، ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٨٣ — ٣٨٤ ،

Browne, op cit., Vol. III, p. 52-53 ; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 409.

Scanned with CamScanner

منافسه وشريكه فى الوزارة على شاه[١٩] • وبالاضافة الى تلك المشكلات الداخلية فقد تعرضت الدولة المغولية لخطر الغزو الخارجى عندما هاجم ياسور وهو أحد قادة المغول الجغطائيين اقليم خراسان ، ثم هـراة فى أفغانستان ، كما هاجم أزبك خان القفجاق ممر الدربند على حدود دولـة مغول فارس • وقد اضطر أبو سعيد الى ارسال الجيوش لصد الغـزاة مما كلف الدولة مبالغ طائلة فى وقت كانت الخزانة تعانى فيه من العجـز الشديد ، هذا فى الوقت الذى تمكن فيه غياث الدين كرت من تدعيم نفوذ أسرته فى هراة بعد انسحاب ياسور حتى أصبح غياث الدين مسـتقلا من الناحية العملية عن نفوذ أبى سعيد[٢٠] • وقد أظهرت العملة المالية التى أصدرها الايلخان أبو سعيد تلك اوضاع السياسة المضـطربة فى دولته ، ففضلا عن تخفيض قيمتها فانها خلت من بعض عبارات التفخيم التى صدرت بها عند بدء حكمه ، كما كشفت أيضا عن تغيير مذهبه الدينى اذ أصبح سنيا بعد أن كان شيعيا[٢١] •

---

(١٩) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٥ ، ابن كثير : المصـدر السابق جـ١٤ ص٨٧ ،

Sheila, op. cit., p. 302; Browne, op. cit., Vol. III, p. 52, 71 ; Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 407.

(٢٠) البدليسى : المصدر السـابق جـ٢ ص٢٥ — ٢٦ ، ٣١ — ٣٢ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٨١ ،

Grousset, op. cit., p. 462 ; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 408; Howorth, op. cit., ,p. 111, p. 590-591 ; Browne, op. cit. Vol. III, p. 53, 57 ;

(٢١) فى مجموعة العملات الأولى التى أصدرها أبو سعيد ظهرت فى الدائرة عبارة « ضرب فى دولة السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم ايلخان العالم أبو سعيد خلد الله ملكه » وفى المجموعة الثانية ظهرت عبارة « ضرب فى دولة السلطان الأعظم ايلخان المعظم أبو سـعيد خلد الله ملكه » مع حذف عبارتى « مالك رقاب الأمم ، ايلخان العالم » هذا فضلا عن تخفيض قيمة العملة للدينار الى ٣٫٨٧ جرام • ومع أن المؤرخين قد وصفوا أبا سعيد بأنه قد أصبح رافضيا بعد سنه من حكمه ، انظر ابن حبيب : تذكرة جـ٢ ص٨٢ — الا أن مجموعة العملات التى أصدرها سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م كتب عليها اسـماء الخلفاء الراشدين الأربعة مما يدل على عودته الى المذهب السنى . أنظر : Sheila, Blair, « The Coins of the Later Ilkhanids pp. 299-302 » in « JESHO » Vol. XXVI, Part III, 1983.

Scanned with CamScanner

وكان لتلك الأوضاع السيئة داخل دولة مغول فارس وتقلص نفوذ أبى سعيد نتائج مهمة على علاقاتها مع سلطنة المماليك • فقد شعر الناصر محمد بن قلاوون بقوته وضعف المغول • ومن ثم بدأ فى ممارسة سياسة حازمة معهم بعد أن أصبحت مصر صاحبة أكبر مركز سياسى وعسكرى فى منطقة الشرق فى ذلك الوقت ، وأخذت الدول تخطب ود سلطان مصر ، فتوافد السفراء على القاهرة طلبا لصداقته(٢٢) • وتطبيقا لتلك السياسة الحازمة فقد أصدر الناصر أوامره الى قواته بالشام لمهاجمة مملكة أرمينيا الصغرى أوائل عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م وهو واثق من عدم قدرة المغول مساعدة حليفهم(٢٣) • كما أخذ الناصر يعمل على التخلص من الأمراء المماليك الهاربين الى فارس لاسيما الأمير قراسنقر • وأرسل من أجل ذلك فى عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م ثلاثين رجلا « فداويا » من طائفة الاسماعيلية الى فارس • غير أن المؤامرة فشلت فى الوقت الذى اشتهر فيه فى بلاد المغول أن الفداوية قدموا لقتل أبى سعيد ونائبه جوبان والوزير على شاه وباقى الأمراء المغول فضلا عن قراسنقر • وقد استاء أبو سعيد من هذه المؤامرة واحتجب أحد عشر يوما خوفا على حياته أما نائبه جوبان فقد استدعى المجد اسماعيل سفير الناصر محمد بن قلاوون وأنكر عليه تدبير تلك المؤامرة ووجه اليه تحذيرا شديدا بل هدده بالقتل اذا لم يكف السلطان الناصر عن محاولاته ، ثم اعتقله جوبان فترة ولم يفرج عنه الا بعد تدخل الوزير على شاه(٢٤) •

---

(٢٢) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٣ ص١٦٣ — ١٦٤ ، هامش ١

S. Lane, Poole, op. cit., p. 310 ;

(٢٣) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٨٨ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ١٤ ص٩٦ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 603.

(٢٤) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢٠٧ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 600.

Scanned with CamScanner

وأدرك أبو سعيد أخيرا أن الأخطار الداخلية والخارجية تفرض عليه تصفية الموقف مع سلطان مصر لمنع تسلل الفداوية الى بلاده من ناحية ، ولمواجهة تهديدات أزبك خان القفجاق من جهة أخرى • فجاء سفير أبى سعيد الى القاهرة سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م حاملا هدية رمزية تعبيرا عن صداقته ورغبته فى السلام ، وكان مضمون شروط أبى سعيد التى عرضها سفيره على الناصر محمد هى[٢٥] :

١ — عدم دخول الفداوية بلاد أبى سعيد •

٢ — من يذهب من مصر الى فارس لايطلبه السلطان • والمقصود بذلك الأمراء المماليك الهاربون الى بلاد أبى سعيد •

٣ — من يفد الى مصر من أمراء المغول لايعود الى فارس الا برضاه

٤ — أن يكف السلطان عن ارسال العرب والتركمان لشن الغارات على الأراضى الخاضعة للمغول •

٥ — أن تكون الطرق بين الدولتين مفتوحة ، فتسير تجارة كل دولة الى أراضى الدولة الأخرى[٢٦] •

٦ — أن يسير ركب الحجاج من العراق الى الحجاز فى كل عام

---

(٢٥) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢٠٩ — ٢١٠ ، فهمى : المرجع السابق ص٢٣١ ، سرور : المرجع السابق ص٢٠٧ ،

Howorth, op. cit., p. 111, p. 600.

(٢٦) وكانت مناطق جنوب غرب ايران وطبرستان وخراسان تشتهر بصناعة الحرير • كما كان الحرير المنتج فى العراق يرد الى الاسكندرية ليأخذ طريقه الى دول البحر المتوسط • للمزيد من التفاصيل أنظر :

Goiten, «The main industries of the Mediterranean area as reflected in the records of the Cairo Geniza, p. 175-176 » in « JESHO » Vol. IV, 1961.

Scanned with CamScanner

ومعه سنجق « علم » فيه اسم سلطان مصر مع سنجق أبى سعيد الذى يرغب فى التجمل بالسنجق السلطانى(٢٧) .

٧ — الا بطلب السلطان الناصر الأمير المملوكى قراسنقر .

واستقر رأى السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع كبار مستشاريه على قبول هذه الشروط وأرسل الرد بذلك الى أبى سعيد مع هدية ثمينة. وأخذت شروط الصلح طريقها الى التنفيذ حتى قبل التوقيع عليها بصفة نهائية عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م (٢٨) . ففى سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٢م ذهب حجاج العراق الى مكة ووقف محملهم خلف محمل الناصر ، كما دعى لأبى سعيد بعد الدعاء للناصر فى مكة(٢٩) ، وتكررت سفارات العاهل المغولى الى القاهرة فى عامى ٧٢٣هـ ، ٧٢٤هـ(٣٠) . وقد زال منذ ذلك الحين الخطر المغولى على سلطنة المماليك ، وحق للسلطان الناصر بعد ذلك أن يقول فى كبرياء لسفراء ملك فرنسا الذين قدموا زيارته مطالبين باسم ملكهم الاستيلاء على بيت المقدس والحصول على امتيازات خاصة لرعاياه فى قيسارية

---

(٢٧) وهذا دليل على علو مكانة سلطان مصر على غيره من حكام المغول . وهو يدحض نظرية بولياك التى تدعى أن دولة المماليك كانت تعتبر نفسها جزءاً من أمبراطورية المغول . والمعروف انه لم يحدث أن طلب سلطان مصر حتى فى فترات ضعفها الحصول على علم من حكام المغول سواء فى فارس أو القفجاق . للمزيد من التفاصيل أنظر :

D. Ayalon, The Great Yasa of Ghingiz Khan, P. 141, in «Studia Islamica, Tome XXXVI, 1972, pp. 113-158 ».

(٢٨) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩١ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢٤٢ ،

Wiet, op. cit., p. 484 ; Blochet, op. cit., p. 405 ; Browne, op. cit., Vol. III, p. 53.

(٢٩) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢١٠ ، ٢١٤ — ٢١٥ .

(٣٠) النويرى : المصدر السابق جـ٣١ سنة ٧٢٣هـ ورقة ١٥ ، سنة ٧٢٤هـ ورقة ١٨ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩٢ ، ٩٣ .

Scanned with CamScanner

وعسقلان مقابل مبلغ كبير من المال سنويا ، حق للناصر أن يقول لهم « وماكان يشغلنا عنكم الا قتال التتار ، ونحن اليوم بحمد الله صلح ، نحن واياهم من جنس واحد ما يتخلى بعضه عن بعض ، وما كنا نريد الابتداء ، وأما الآن فتحصلوا وتعالوا ، وان لم تجيئوا ، فنحن نجيئكم، ولو أننا نخوض البحر بالخيل ، وا لكم ، صارت لكم السنة تذكر القدس ، والله ماينال أحد منكم منه تراب الا ما تسفيها الرياح عليه وهو مصلوب »(٣١) .

وحققت معاهدة الصلح بين أبى سعيد والناصر فائدتها المرجوه لكلا الجانبين ، فتفرغ أبو سعيد لمواجهة خصومه مغول القفجاق الذين كانوا قد هاجموا خراسان واستولوا على معظم بلادها . ولم يسع الناصر محمد بن قلاوون ازاء تلك الحرب سوى الوقوف على الحياد احتراما لمعاهدته مع أبى سعيد من ناحية ، ولمصاهرته أزبك من ناحية أخرى . غير أن أزبك استاء من موقف الناصر وأرسل اليه يعاتبه ، كما أغلظ لسفراء الناصر الذين تصادف وجودهم فى بلاط القفجاق . أما الناصر فقد اعتذر عن موقفه المحايد بأن أبا سعيد دعاه لاقامة شعائر الاسلام ولا يسعه التخلف عن ذلك(٣٢) .

واستغل الناصر من جانبه معاهدة الصلح مع أبى سعيد كى يمد النفوذ المصرى الى أرمينيا ، فأرسل حملة عسكرية دمرت مدينة اياس سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م وهو واثق من عدم قيام أبى سعيد بأى رد فعل لتلهفه على التوقيع على المعاهدة . وقد اضطر ملك أرمينيا الذى وجد نفسه وحيدا الى ارسال الأموال والهدايا الى سلطان مصر ، كما تعهد

---

(٣١) ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص٦٣ ، ٦٤

(٣٢) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢٣٢ ، ابن خلدون : كتاب العبر مجلد ٥ قسم ٤ جـ١٠ ص٩٢٧ ، وانظر أيضا : حياة ناصر الحجى : المرجع السابق ص٤١ .

Scanned with CamScanner

بأن يرسل الى القاهرة فى كل عام مائة ألف درهم ، واستأذن فى عمارة ماتخرب فى مدينة اياس[٣٣] • وقد سببت حملة الناصر بن قلاوون على أرمينيا ازعاجا شديدا للبابوية فى الغرب الأوربى ، فسعى البابا يوحنا الثانى والعشرون John XXII الى تحريض القوى الأوربية ضد الناصر ردا على هذه الحملة ، كما كتب خطاب عاجلا الى أبى سعيد يطلب منه تقديم المساعدة للارمن ، كما حثه على اعتناق المسيحية ، وأرسل أسقفا من الدومينيكان دعى فرانسوا دى بيروس Francois de Peruse الى أسقفية مدينة السلطانية لمراقبة الموقف[٣٤] • غير أن المشكلات الداخلية والخارجية لدى أبى سعيد لم تترك له مجالا لتقديم المساعدة للارمن ، كما أنه لم يشأ أن ينقض معاهدته مع الناصر ، فاضطر بطريرك الأرمن الى القدوم الى مصر للسعى لعقد معاهدة سلام مع الناصر لمدة خمسة عشر عاما • وشعر المسيحيون بالحزن عندما رأوا ليو ملك أرمينيا سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م يجبر على تقبيل الأرض احتراما لسيده سلطان مصر الذى أرسل اليه خلع الشرف والتكريم[٣٥] •

وهكذا نجح الناصر محمد فى الاحتفاظ بعلاقاته الودية مع كل من أبى سعيد ، وأزبك ، فى الوقت الذى استطاع فيه أيضا تحقيق أهدافه السياسية والعسكرية ، كما أنه كان حريصا على ألا يعلو على سلطانه أحد منهما فى الحجاز ، حتى أنه أظهر غضبه الشديد عندما بلغه أن جوبان

---

(٣٣) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده ص٨ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩١ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢٣٧ ، ٢٤٦ ،

Wiet, op. cit., p. 484.

(34) Browne, op. cit., Vol. III, p. 54.

(35) Howorth, op. cit., p. 111, p. 604 ;

أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩٩ •

Scanned with CamScanner

نائب أبى سعيد قد أجرى عينا من عرفة الى مكة ليشرب منها الحجـــاج ، فوجه اللوم الشديد الى رسول جوبان عن ذلك العمل(٣٦) .

وحدثت مشكلات داخلية فى دولة مغول فارس أتاحت للناصر محمد أن تكون له كلمة فى الأحداث السياسية الجارية فيها . ذلك أن نفـــوذ أبى سعيد قد تضاءل بسبب تسلط جوبان وأبنائه على الدولة المغولية ، فكان جوبان قائدا للجيش ، وابنه تيمورتاش حاكما على بلاد الروم ، وابنه الثانى دمشـــــق خواجا حاكما على أذربيجان والعراقين العربى والعجمى(٣٧) . وقد سعى كل من أبى سعيد وجوبان فى أثناء الصراع بينهما الى التقرب من سلطان مصر الناصر محمد بطلب المصـــاهرة معه ، غير أن الناصر لم يكن متحمسا لذلك المشروع واعتذر بصغر سن بناته(٣٨) ومع ذلك فقد قام الناصر بخطوة أخرى تدعيما للروابط معهما ، فأعاد الى فارس بناء على طلبهما الأمير المغولى حسام الدين حسين بن خدابندا ، وكان قد لجأ الى القاهرة من قبل ورفض العودة الى بلاده وفقا لنصوص معاهدة الســـلام السابقة((٣٩) .

وتطور النزاع بين أبى سعيد ونائبه جوبان الى حالة الحرب الأهلية بينهما سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م . وكان تيمورتاش بن جوبان قد أعلن الثورة فى بلاد الروم باسيا الصغرى سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م وسك العملة باســـمه وأقام الخطبة لنفسه ، وتمكن والده جوبان من اخضاعه واحضاره مقيدا

---

(٣٦) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق١ ص٢٧٤ .

(٣٧) ابن أيبك : المصدر السابق ص٣٤٥ ومابعدها ،

Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 409-410 ; Sheila, Blair, op. cit., p.. 309.

(٣٨) النويرى : المصدر السابق جـ٣١ سنة ٧٢٨هـ ورقة ٨٣ ، ٨٤ ، سنة ٧٢٩هـ ورقة ٩٦ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص١٠٠ .

(٣٩) النويرى : المصدر السابق جـ٣١ سنة ٧٢٧هـ ورقة ٧٦ .

Scanned with CamScanner

فى السلاسل الى بلاط أبى سعيد . ثم حصل له على عفو فى العام التالى ٧٢٣هـ/١٣٢٣م[٤٠] . غير أن الخلافات التى نشبت مؤخرا فى عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م بين أبى سعيد من جانب وجوبان وأبنائه من جانب آخر كانت أكبر من أن تعالج هذه المرة . وبالرغم من جهود جوبان وأبنائه فى الدفاع عن الدولة وانتصاراتهم على أزبك خان القفجاق سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م ، وعلى تارماشرين Tarmachirin خان الجغطائيين الذى غزا خراسان سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، بالرغم من ذلك كله الا أن أبا سعيد فيما يبدو قد سئم من وصاية جوبان وتحكمه فيه واستبداده بالأمور فأضمر له السوء للخلاص منه[٤١] . ويقال بأن السبب المباشر للخلافات بينهما هو رفض جوبان تزويج ابنته بغداد خاتون لأبى سعيد عندما طلبها ، كما رد عليه بجواب غير سديد أثار ثائرة أبى سعيد ونقمته عليه[٤٢] .

وبدأت أحداث الفتنة عندما خرج جوبان الى خراسان لاخماد ثورة خطيرة تزعمها أحد أبناء كبك خان الجغطائى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، فانتهز أبو سعيد هذه الفرصة السانحة وقبض على ابنى جوبان : الأمير دمشق

---

(٤٠) أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩٢ ؛
Grousset, op. cit., p. 462 ; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 409;
Howorth, op. cit., p. III, p. 601-602.

(٤١) ابو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩٦ .
Grousset, op. cit., p. 464.

(٤٢) ذكر البدليسى أن الأمير جوبان كان قد زوج ابنته بغداد من الأمير حسن بن الأمير حسين اقبوغا منذ سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م . وكان قانون جنكيز خان وتقاليد المغول تقضى بأن كل امراة يقع عليها نظر السلطان — الايلخان — فيعجب بها على زوجها أن يطلقها طوعا ويرسلها الى الحريم السلطانى .
انظر : البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٩ .
Sykes, op. cit., Vol. II, p. 115.

Scanned with CamScanner

خواجا ، والأمير محمود وقتلهما فى مدينة السلطانية(٤٣) • وعندما سمع جوبان بما حدث لابنيه زحف فى أوائل سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م من خراسان متجها الى العراق وهو على رأس ثمانين ألف فارس التفوا حوله ، فى الوقت الذى كان أبو سعيد قد أعد عدته للقائه على أبواب قزوين • وخدع جوبان فى قواته ، فبادرت بالانضمام الى قوات أبى سعيد عند الرى ، فلم يجد جوبان بدا من العودة الى خراسان قبل بدء القتال مفضلا الالتجاء الى هراة ، غير أن حاكمها غياث الدين كرت بادر الى قتله مع ابن ثالث له حسب أوامر أبى سعيد(٤٤) • وسعى أبو سعيد أيضا الى قتل تيمورتاش بن جوبان ، لكن تيمورتاش اكتشف المؤامرة وبادر بالهرب الى القاهرة حيث أخذ يحرض السلطان الناصر للاستيلاء على بلاد الروم(٤٥) • وشعر أبو سعيد بخطورة تحريض تيمور تاش ، وأن الناصر قد يستغل الحرب الأهلية داخل دولة مغول فارس ويحقق امتداد النفوذ المصرى الى بلاد الروم ، كما فعل مع أرمينيا ، فأسرع أبو سعيد بارسال رسالة الى الناصر يخبره فيها بما فعله مع جوبان وأولاده ، واقترح مقايضة تيمورتاش بالأمير شمس الدين سنقر المنصورى • ومع أن الناصر قد مال فى البداية الى تحقيق ذلك العرض الا أنه عدل عن الفكرة فيما بعد وأمر بقتل

---

(٤٣) البدليسى : شرف نامه جـ٢ ص٣٠ • وقد وجه أبو سعيد الى دمشق خواجا تهمه التآمر مع محظية أولجايتو • أنظر : أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩٦ ، ابن بطوطه : كتاب الرحلة ص١٥٣ ،

Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 410.

(٤٤) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٠ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩٦ ، ابن بطوطه : كتاب الرحلة ص١٥٣ ،

Grousset, op cit., p. 464 ; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 410-411 ; Browne, op. cit., Vol. III, p. 55, Sheila, Blair, op. cit., p. 309 ;

(٤٥) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٧ ص٢٩٣ ، ٢٩٤ •

Scanned with CamScanner

تمرتاش[٤٦] . وبذلك تخلص أبو سعيد من خصومه الأقوياء وان كانت العواقب قد أصبحت وخيمة بالنسبة لسلطة مغول فارس فى الأناضول . فقد أتاح القضاء على أسرة جوبان ، ثم وفاة أبى سعيد فيما بعد الفرصة للامراء الأتراك المحليين للاستيلاء على السلطة وتكوين امارات شبه مستقلة لهم فى الأناضول[٤٧] . وحفظ أبو سعيد للناصر موقفه من فتنة جوبان وأبنائه ، فاستمرت العلاقات الودية بين العاهلين حتى وفاة أبى سعيد فى ٧٣٦هـ/١٣٣٥م ، وتبادل الطرفان السفارات والهدايا[٤٨] ، كما قام الناصر بناء على طلب أبى سعيد بالقضاء على أحد أمراء المغول ، فأرسل من اغتال ذلك الأمير فى أثناء تأديته فريضة الحج . وفى مقابل ذلك طرد أبو سعيد الأمير العربى مهنا بن عيسى الذى كان قد لجأ الى العراق ، وذلك رعاية لخاطر السلطان[٤٩] .

واذا كانت العلاقات بين الناصر محمد بن قلاوون وأبى سعيد قد

---

(٤٦) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ١ ص ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٠ ، النويرى : المصدر السابق جـ٣١ سنة ٧٢٨هـ ورقة ٨٦ ، أبو الفداء : المصدر السابق جـ٤ ص٩٨ — ٩٩ ،

Grousset, op. cit., p. 464; Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 411;

وقد ذكر هورث أن الناصر هو الذى طلب تسليم تمرتاس مقابل قراسنقر لكن أبا سعيد رفض : أنظر :

Howorth, op. cit., p. 111, p. 616.

(٤٧) ومن هذه الامارات امارة القرمانيين فى الجنوب الشرقى للاناضول كما نمت امبراطورية العثمانيين فى الشمال الغربى . وهكذا يكون ظهور ونمو العثمانيين نتيجة مباشرة لانهيار سلطة مغول فارس فى الأناضول . أنظر :

Grousset, op. cit., p. 464.

(٤٨) النويرى : المصدر السابق جـ٣١ سنة ٧٢٩ ورقة ٩٥ ، سنة ٧٣٠هـ ورقة ١٠٥ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٢ ص٣١٠ ، ٣٢٠ ، ابن أيبك : المصدر السابق ص٣٦١ ، ٣٧٢ .

(٤٩) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٢ ص٣٦٧ ، ٣٧٢ — ٣٧٣ .

Scanned with CamScanner

ظلت ودية فى تلك الفترة للمصالح المشتركة بينهما ، فان العلاقات بين الناصر وأزبك خان القفجاق قد سارت هى الأخرى سيرا حسنا وان كان خان القفجاق قد ساءه طلاق السلطان للاميرة المغولية خاتون طولوبية بنت تقطاى أخى أزبك وزواجها من أمراء مماليك أقل شأنا ، فأرسل الى السلطان رسالة يطلب اعادتها الى بلدها(٥٠) ، وفى نفس الوقت طلب أزبك الزواج من احدى بنات السلطان لتأكيد الأخوة والصداقة ، لكن الناصر فهم المقصود من ذلك وهو الانتقام لما حدث للاميرة المغولية ، فلم يوافق على تلك المصاهرة ، واعتذر بصغر سن بناته ، ولكن الناصر كان حريصا أيضا على أن تظل العلاقات مع أزبك ذات طابع ودى ، فأكرم سفراءه. وكان حرص الناصر على حسن العلاقات مع مغول القفجاق ينبع أساسا من المصالح التجارية بين البلدين ، كما أن بلاد القفجاق كانت مصدرا رئيسيا لشراء المماليك الجدد (٥١) . واستمرت تلك العلاقات الودية بين سلطنة المماليك والمغول القفجاق بعد وفاة أزبك عام ٧٤٢هـ / ١٣٤٠م ، اذ ظل خليفته جانى بك الذى تولى العرش المغولى فى نفس العام يلقى نفس الاحترام والتقدير ويخاطب بعبارات التشريف من جانب المماليك(٥٢) ، كما حرص جانى بك من جانبه على ارسال السفارات والهدايا الى القاهرة(٥٣) .

---

(٥٠) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٢ ص ٣٧٨ .

(٥١) المقريزى : نفس المصدر جـ ٢ ق ٢ ص ٤٢٣ ،

Grousset, op. cit., p. 481 ;

(٥٢) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ ،

Grousset, op. cit., p. 483 ;

د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص٢٢٩ .

(٥٣) الشجاعى : المصدر السابق ص٢٤٧ .

Scanned with CamScanner

وفاة أبى سـعيد وتفكك دولة مغول فارس :

وحدثت أحداث خطيرة فى دولة مغول فارس أنهت دورها السياسى فى منطقة الشرق بأسره الى قرب نهاية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عندما ظهر تيمور لنك • فقد توفى أبو سعيد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م وهو فى طريقه لمحاربة خصمه أزبك خان القفجاق الذى هاجم مناطق أران وشيروان(٥٤) • ونظرا لأن أبا سعيد لم يكن له أعقاب ذكور ، فقد انقرضت بموته سلالة هولاكو فى حكم فارس(٥٥) • ونشبت الاضطرابات الداخلية التى لا مفر منها فى مثل تلك الظروف ، وتفسخت الدولة المغولية فى فارس الى دويلات صغيرة تتنازع فيما بينها ، ولم يعد هناك من أثر لجهود غازان فى وحدة المغول ، أو ادعاء أولجايتو فى خطابه الى فيليب الجميل ملك فرنسا بانتهاء الصراع بين مختلف ممالك المغول ، كما أن الخاقان الجالس على العرش فى الصين كان طفلا فى الثالثة عشرة من عمره ، ولم يكن باستطاعته اعادة الأمن والنظام فى غرب آسيا (٥٦) •

---

(٥٤) البدليسى : شرف نامه جـ٢ ص٣٤ ،

Cam. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 412 ; Browne, op. cit., Vol. III, p. 57 ; E.D. Phillips, op. cit., p. 124, Sheila, Blair, op. cit., p. 305.

(٥٥) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٥ ، ابن حجر : الدرر جـ٢ ص٣٤ — ٣٥ ،

Camb. Hist. of Iran, Vol. 5, p. 413.

(56) M. Prawdin, op. cit., p. 378-381.

وقد انقسمت دولة مغول فارس الى أربع دويلات هى : الدولة الجلائرية ، الدولة المظفرية ، دولة كرت ، الدولة السربدارية ، هذا فضلا عن الوحدات السياسية الأخرى الصغيرة الأقل شأنا . وكان المظفريون وهم من أصل =

وكان القادة المغول قد عينوا بعد وفاة أبى سعيد ايلخانا جديدا هو أرباكون من سلالة اريق بوقا أخى هولاكو ، لكنه لم يلبث الا شهورا قليلة ثم قتل على يد أحد الثوار (٥٧) . ويهمنا فى هذا البحث أن نذكر أن الأمراء المغول المتنافسين على الحكم نظروا الى السلطان الناصر محمد بن قلاون على أنه القوة الوحيدة التى يمكن الاستعانة بها ، فاتصل بعضهم بالناصر طالبا المعونة والمساعدة ، بل وعرض بعضهم مثل على بادشاه تسليم مدينة بغداد الى الناصر وأن يكون نائبه فيها ، مما دفع الناصر الى ارسال فرقة من الجيش المملوكى الى منطقة الفرات لتقديم المساعدة الى القائد المغولى (٥٨) . كذلك فان نفوذ الناصر محمد امتد الى أراضى سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م بعد أن استنجد به حاكمها التركمانى أرتنا ضد الأمراء المغول ، فكتب له الناصر تقليدا

عربى يحكمون فى فارس وعراق العجم وكرمان وعاصمتهم يزد ، أما الجلائريون وهم من المغول الذين يرتقون فى نسبهم الى هولاكو فكانوا يحكمون فى بغداد وتوريز . والى الشمال الشرقى من فارس والأقاليم المجاورة لها حكم الكرت وعاصمتهم هراة . أما السربداريون فحكموا فى سبزوار Sebzeuar بخراسان . أنظر التفاصيل فى :

Browne, op. cit., Vol. III, p. 60, 161-180; Lucien Bouvat, l'Empire Mongol, pp. 26-30; Grousset, op. cit., p. 504 ; Sykes, op. cit., Vol. II, p. 116-117 ; Camb. Hist of Iran, Vol. 5, p. 413 - 414.

(٥٧) البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٥ .

Grousset, op. cit., pp. 465-468 ; Browne, op. cit., Vol. III, p. 58-61 ; Howorth, op. cit., p. 111, 634 ; Camb. Hist. of Iran, p. 413-414.

(٥٨) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٢ ص٤١٨ ، الشجاعى : المصدر السابق ص٦ .

Scanned with CamScanner

بحكم ما بيده من بلاد[٥٩] . وقبل وفاة الناصر محمد بقليل اتصل الشيخ حسن الجلائرى مؤسس دولة الجلائريين التى حكمت فى غرب فارس والعراق اتصل بالناصر محمد وعرض عليه تسليمه بغداد والموصل وعراق العجم ، وطلب ارسال الجيش المملوكى لاستلام هذه المنـــاطق . وكان السلطان الناصر محمد على وشك ارسال جيشه لولا وصول الأخبار بتراجع الأمير المغولى عن وعده واتفاقه مع الأمراء المغول الاخرين . فألغى الناصر استعداداته العسكرية فى الوقت الذى كان المرض قد اشتد به وتوفى فى نفس العام ٧٤١هـ/١٣٤١م[٦٠] .

أبناء الناصر محمد بن قلاوون والدويلات المغولية :

أما عن علاقة مغول فارس بسلطنة المماليك بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون فانه على الرغم من حالة الضعف والتردى التى أصبحت فيها مصر فى عهد أبناء الناصر الذى لم يترك وريثا قويا فى الحكم مما جعل كبار الأمراء يسيطرون على أبنائه الصغار الذين انغمسوا فى اللهـــو

---

(٥٩) الشجاعى : المصدر السابق ص٢٥ — ٢٦ ، المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ص٤٤٦ ، ابن حجر : الدرر جـ١ ص٣٧١ ، سرور : المرجـــع السابق ص٢١٤ — ٢١٥ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهـــل الصافى جـ١ ص١٠٣ .

(٦٠) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٢ ص٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ . وقد ذكر الشجاعى أيضا أن أمراء المغول الشـــــيخ حسن ، وطوغاى بن سوتاى ، وحافظ ، طلبوا من السلطان أن يرسل أحد أبنائه ليولوه عليهم بعد أن ضربوا السكة باسم السلطان ، لكن الناصر اعتذر بصغر سن أولاده ، وعرض الذهاب بنفسه اذا أقسم أمراء المغول له . أنظر : الشـــــجاعى : المصدر السابق ص٦٨ ، ٩٨ — ١٠٠ .

Scanned with CamScanner

والفساد[٦١] ، على الرغم من ذلك كله فان حكام الدويلات والامارات المغولية المتنافسين فى فارس ظلوا ينظرون دائما الى مصر على أنها أقوى دولة فى المنطقة ، فسعى كل منهم الى التحالف مع سلطان مصر ، كما توالت سفاراتهم على القاهرة تطلب المساعدة • ومن ذلك سفارة أرتنا سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م وكذلك سفارة الشيخ حسن الجلائرى فى نفس العام ، وسفارات الأشرف دمرداش بن جوبان سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م وسنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م وسنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م[٦٢] • وعندما تولى أويس بن الشيخ حسن الجلائرى الحكم فى بغداد حدث خلاف بينه وبين نائبه خواجا مرجان ، فسعى الاثنان للحصول على تأييد سلطان مصر • وأرسل خواجا مرجان الى القاهرة بما يفيد خلع أويس واقامة الخطبة باسم السلطان الأشرف شعبان وضرب السكة له ، كما طلب خواجا مرجان أن يكون نائبا عن السلطان الأشرف فى بغداد • وبطبيعة الحال فقد رحب سلطان مصر بتلك الخطوة ، فأكرم رسل خواجا مرجان وكتب له تقليدا بنيابة بغداد كما أرسل اليه الخلع التشريفية[٦٣] •

ولم يجهل أويس بدوره أهمية سلطان مصر ، فأرسل اليه رسالة يعلن فيها عصيان خواجا مرجان عليه ويعلن عزمه على محاربته ، ويطلب من

---

(٦١) ومما يدل على مدى الاضطرابات السياسية فى مصر فى ذلك الوقت هو تولية العرش لثمانية من أبناء الناصر خلال أربعة عشر عاما ، وما صاحب ذلك من كثرة التصفيات والنفى والطرد للمماليك المعارضين . أنظر : المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٢ ص٥٥١ ، ٥٧١ ، ٥٩٣ ، ٦١٩ ، ٦٨٠ ، ٧١٣ ، ٧٤٥ ، ٨٤٣ ،

Wiet, op cit., p. 499-508 ; S. Lane Poole, op. cit., p. 317-320.

(٦٢) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٣ ص٨١٦ ، ٨٢١ ، ٨٤٠ ، ٨٦٣ .

(٦٣) نفس المصدر جـ٣ ق١ ص١١٢ ، عباس عزاوى : المرجع السابق جـ٢ ص١٢٨ ، وللمزيد من التفاصيل عن الخلافات بين أويس ونائبه خواجا مرجان انظر البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٥٠ — ٥١ .

السلطان عدم السماح لخواجا مرجان بالهرب الى الشام ومصر • لكن سلطان مصر الذى كان فيما يبدو يرغب فى امتداد نفوذه الى العـــراق لم يعر طلب أويس اهتماما ، بل أهان رسله وأعلن عزمه على تقديم المساعدة لخواجا مرجان اذا طلبها(٦٤) • غير أن أويس نجح فى دخول بغـــداد وهزيمة مرجان وأسره وسمل عينيه • وبعد وفاة أويس تولى ابنه المعز جلال الدين حسين سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م فبادر بدوره الى الكتابة لسلطان مصر حاجى بن الأشرف شعبان لاعادة العلاقات الطيبة بين البـــلدين ، فاستقبلت سفارة المعز فى القاهرة بترحاب كبير • ولم يعش المعز طويلا اذ ثار عليه أخوه أحمد بن أويس وقتله وأستقر فى الحكم بعـــده • وهكذا ظلت الاضطرابات ناشبة فى دويلات مغول فارس حتى ظهور تيمورلنك فبدأ عصر جديد(٦٥) •

---

(٦٤) المقريزى : المصدر السابق جـ٣ ق١ ص١١٤ •

(٦٥) المقريزى : المصدر السابق جـ٣ ق١ ص٢٤٤ ،ق٢ ص٤٤٤ ، ٤٧٠، ابن تغرى بردى : النجوم جـ١١ ص٢٩٦ ، البدليسى : المصدر السابق جـ٢ ص٦١

Scanned with CamScanner

خاتمة

لقد أظهرت الدراسة التفصيلية للعلاقات بين المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون الأسس التى كانت محورا لسياسة كل جانب والدوافع التى كانت وراءها • فمن جانب المغول أظهرت الدراسة أن دولة مغول فارس قد ورثت سياسة الفتح والتوسع التى وضعها جنكيزخان عند تأسيس امبراطورية المغول الكبرى فى أوائل القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى • وأن تلك السياسة لم تتغير باسلام حكام فارس الايلخانيين الذين عز عليهم هزيمة المغول فى عين جالوت على يد المماليك• فظلت روح العداء والثأر من المماليك هى المحور الرئسى لسياسة هؤلاء الايلخانيين • والدليل على ذلك أن رسائل أحمد تكودار وغازان وخدابندا وأبى سعيد الى سلاطين المماليك وان حملت اصرار الايلخانات على اقامة شعائر الاسلام فى فارس الا أن تلك الرسائل كانت تفيض بالتهديد والوعيد وتطالب سلاطين المماليك باظهار مشاعر الخضوع للايلخانات كما حملت بعض هذه الرسائل مثل رسالة غازان الى الناصر محمد بن قلاوون لهجة التعالى على المماليك ومعايرتهم بأنهم عبيد قد مسهم الرق •

وقد أظهرت الدراسة أيضا بوضوح كامل سعى مغول فارس الى التحالف مع كل أعداء المماليك سواء القوى الصليبية فى الشام أو القوى المسيحية فى الغرب الأوربى وعلى رأسها البابوية ، أو حتى المتمردين من الأمراء المماليك الذين هربوا من مصر والشام ولجأوا الى فارس • وقد أوضحت الدراسة تفاصيل السفارات المغولية الى الغرب الأوربى لطلب المساعدة ، وفشل تلك السفارات فى الحصول على مساعدة مادية سواء

Scanned with CamScanner

بالجنود أو الأموال لأن البابوية أصيبت بالصدمة وخيبة الأمل بعد اعتناق المغول للاسلام فى الوقت الذى كانت تبذل جهدها من أجل تحويل المغول الوثنيين الى المسيحية ، هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى لم يصدق الغرب الأوربى أن هناك قوة فى الشرق يمكنها تحقيق ماعجزت عنه القوى الأوربية طيلة قرنين من الزمان وهو الاستيلاء على بيت المقدس من المسلمين بصفة نهائية ، وعلى ذلك اكتفى الغرب الأوربى بتقديم الوعود الكاذبة والدبلوماسية الخبيثة التى استهدفت اذكاء روح العداء بين الجانبين المغولى والمملوكى ، ولعل ذلك يفسر استمرار ايلخانات فارس المسلمين فى التحالف مع القوى المسيحية فى منطقة الشرق ومناصرتها على القوى الاسلامية ، وهو ما أظهرته هذه الدراسة بالتفصيل •

واذا كان قرب أراضى دولة مغول فارس عاملا هاما فى استمرار معاداتهم وخطورتهم على دولة المماليك فى مصر والشام ، فان الأمر اختلف بالنسبة لمغول القبيلة الذهبية ، فأراضيهم كانت بعيدة جدا عن مصر ، وخطورة السفر جعل الاتصالات صعبة بين الجانبين حيث كانت الدولة البيزنطية تسيطر على معظم الطريق بين الفولجا والنيل • وبسبب تلك العوامل فضلا عن العامل الدينى حيث سبق مغول القفجاق أقرباءهم مغول فارس الى الاسلام ، وللعداوة بين هذين العنصرين من المغول للاسباب التى تم شرحها فى الدراسة ، فقد كانت طبيعة الموقف السياسى تقضى بأن تكون العلاقات ودية بين مغول القفجاق والمماليك •

أما بالنسبة للمماليك فقد أظهرت هذه الدراسة مهارة سلاطين أسرة بنى قلاوون فى ادارة الصراع العسكرى والسياسى مع مختلف الدول • ففى الجانب العسكرى أظهرت الدراسة كيف نجحت أسرة بنى قلاوون فى الحاق الهزائم العديدة بمغول فارس وتبديد أحلامهم فى الاستيلاء على بلاد الشام وتخريبها ، هذا فضلا عن نجاح بنى قلاوون فى القضاء نهائيا على باقى الكيانات الصليبية فى الشام ، ومد النفوذ المصرى الى أرمينيا الصغرى وسلاجقة الروم • أما فى الجانب السياسى فقد

استفاد سلاطين بنى قلاوون من حالة العداء القائمة بين مغـول فارس ومغول القفجاق بالعمل على تطوير وتدعيم العلاقات الودية التى سـعى اليها خانات القفجاق منذ عهد بركة خان ، واستمرار حث هؤلاء الخانات على معاداة مغول فارس • ومن العوامل التى شجعت على تدعيم العلاقات بين مغول القبيلة الذهبية وسلاطين المماليك فى عصر أسرة بنى قلاوون هو وجود عدد من أفراد هذه القبيلة ضمن الأرستقراطية العسـكرية المملوكية فى مصر، اذ كانت بلاد القفجان مصدرا هاما لشراء المماليك الجدد •

ولم يغفل سلاطين بنى قلاوون العمل على تحسـين العلاقات مع القوى الأوربية لافشال سياسة مغول فارس • وفى هذا المجال فقد أظهرت الدراسة كيف غدت مصر فى عهد الناصر محمد بن قلاوون بفضل سياسته الحكيمة مع مختلف الدول لاسيما الأوربية ، غدت أكبر قوة عسـكرية وسياسية فى منطقة الشرق تسعى جميع الدول الى صداقتها والتحـالف معهـا •

Scanned with CamScanner

قائمة

المصادر والمراجع

أ ــ مصادر عربية وفارسية معربة

١ ــ ابن اياس : محمد بن أحمد بن اياس المصرى ت ٩٢٠هـ/١٥٢٣م :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور • الجزء الأول تحقيق محمد مصطفى ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القسم الأول سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م والقسم الثانى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م •

٢ ــ ابن أيبك الدوادارى : أبو بكر بن عبد الله : ت بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م

كنز الدرر وجامع الغرر ج ٩ منه وهو : « الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر » تحقيق هانس روبرت رويمر ــ المعهد الألمانى بالقاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م •

٣ ــ ابن بطوطة : محمد بن عبد الله •• اللواتى الطنجى ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م

كتاب الرحلة المسمى « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » دار الكتاب اللبنانى ــ دار الكتاب المصرى •

٤ ــ ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م

١ ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ــ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية •

Scanned with CamScanner

٢ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى • جـ٢ تحقيق د• محمد محمد أمين — الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م •

٣ — الدليل الشافى على المنهل الصافى جـ١ ، جـ٢ تحقيق فهيم محمد شلتوت جامعة أم القرى ١٩٨٣م •

٥ — ابن حبيب : الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م

تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه • تحقيق د• محمد محمد أمين •

جـ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م

جـ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م

٦ — ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن حجر ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة •

خمسة أجزاء تحقيق محمد سيد جاد الحق — الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ومابعدها •

٧ — ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر •

بيروت دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٣م •

٨ — ابن شاكر الكتبى : محمد بن شاكر بن أحمد ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م

فوات الوفيات ، جزءان تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥١م •

Scanned with CamScanner

٩ — ابن طولون : شمس الدين محمد بن على بن طولون ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م

اعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى تحقيق عبد العظيم خطاب — مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٢م ٠

١٠ — ابن عبد الظاهر : محيى الدين بن عبد الظاهر ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م

تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور تحقيق مراد كامل — الطبعة الأولى — القاهرة ١٩٦١م ٠

١١ — ابن العبرى : غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطى ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦ م ٠

تاريخ مختصر الدول ٠ المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين — بيروت ١٨٩٠م ٠

١٢ — ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م

تاريخ الدول والملوك ٠ تحقيق قسطنطين زريق وآخرين بيروت ١٩٣٨م جـ٧ ، جـ٨ ٠

١٣ — ابن فضل الله العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩ م ٠

التعريف بالمصطلح الشريف ٠ مطبعة العاصمة ١٣١٢هـ٠

١٤ — ابن الفوطى : كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن الفوطى البغدادى ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ٠

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة٠ بغداد ١٣٥١هـ ٠

Scanned with CamScanner

١٥ — ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م

البداية والنهاية — دار الفكر العربى بالقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٥٨هـ — جـ١٣ ، جـ١٤ .

١٦ — ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م

تاريخ ابن الوردى أو تتمة المختصر فى أخبار البشر . الطبعة الثانية فى جزءين النجف بالعـراق ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .

١٧ — أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م

المختصر فى أخبار البشر . أربع أجزاء فى مجلدين — دار المعرفة بيروت .

١٨ — البدليسى : شرف خان بعد سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م

شرفنامه — جـ٢ تعريب محمد على عونى ومراجعة يحيى الخشاب — طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه — القاهرة ١٩٦٢م .

١٩ — بيبرس الدوادار : الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصـــورى ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م .

زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة جـ٩ تحقيق د. زبيدة محمد عطا . رسالة دكتوراه غير منشورة — كلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٧٢م .

٢٠ — الديار بكرى : حسين بن محمد — القرن العاشر الهجرى « حوالى ٩٦٦هـ/١٥٥٩م » .

تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس — طبعة١٨٦٦م

Scanned with CamScanner

٢١ ــ رشيد الدين : فضل الله الهمدانى • ت ٧١٨هـ/١٣١٨م

١ ــ جامع التواريخ ــ المجلد الثانى جـ١ ، جـ٢ :

جـ١ : ترجمة محمد صادق نشأت ، موسى هنداوى ، فؤاد عبد المعطى الصياد ، ومراجعة يحيى الخشاب •

جـ ٢ : ترجمة محمد صادق نشأت ، فؤاد عبد المعطى الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب •

طبعة دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) القاهرة ١٩٦٠م •

٢ ــ التاريخ الغازانى : مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٨٨٩ تاريخ فى أربعة مجلدات •

٢٢ ــ السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن • ت ٩١١هـ/١٥٠٥م •

حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٦٨م/١٣٨٧هـ بالقاهرة •

٢٣ ــ الشجاعى : شمس الدين • ت حوالى ٧٤٥هـ/١٣٤٤م

تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده•

تحقيق بربارة شيفر قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الألمانى للاثار بالقاهرة ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨م •

٢٤ ــ العينى : بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م

السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى •

تحقيق فهيم شلتوت ــ مراجعة د• محمد مصطفى زيادة ــ دار الكاتب العربى بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م •

Scanned with CamScanner

٢٥ — غياث الدين خواندمير : ت ٩٤٢هـ

دستور الوزراء — ترجمة وتعليق د• حربى أمين سليمان
الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠ م •

٢٦ — القلقشندى : أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م

صبح الأعشى فى صناعة الانشا — طبعة دار الكتب
١٣٣٣هـ/١٩١٥م وما بعدها •

٢٧ — المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م

١ — السلوك لمعرفة دول الملوك • جـ١ ق١ ، ق٢ ، ق٣
تحقيق د• محمد مصطفى زيادة — جـ٢ ق١ ، ق٢ ، ق٣
تحقيق د• محمد مصطفى زيادة •
لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٣٤ —
١٩٥٨م •

٢ — اغاثة الأمة بكشف الغمة • منشورات دار الوليد
حمص الشام ١٩٥٦ م •

٣ — المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والاثار •
جزءان فى مجلدين طبع دار صادر بيروت •

٢٨ — النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م

نهاية الأرب فى فنون الأدب • مخطوط بدار الكتب
بالقاهرة رقم ٥٤٩ معارف عامة جـ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ •

Scanned with CamScanner

— ب — المراجع العربية الحديثة والمترجمة

١ — بارتولد :

تاريخ الترك فى آسيا الوسطى • ترجمة د• أحمد السعيد سليمان — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة ١٩٥٨م •

٢ — حياة ناصر الحجى :

العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق — حولية كلية الاداب بالكويت الحولية الثانية ١٩٨١م / ١٤٠٠هـ •

٣ — د• خصباك : جعفر حسين •

العراق فى عهد المغول الايلخانيين الطبعة الأولى بغداد ١٩٦٨م •

٤ — د• سعيد عبد الفتاح عاشور :

١ — العصر المماليكى فى مصر والشام — الطبعة الأولى دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٥م •

٢ — الحركة الصليبية • جزءان — الطبعة الأولى ١٩٦٣م

٣ — قبرس والحروب الصليبية — مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م •

Scanned with CamScanner

٥ — عباس عزاوى « المحامى »

تاريخ العراق بين احتلالين • جـ١ ، جـ٢ طبع بغداد ١٣٥٣هـ ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م ، ١٩٣٦م •

٦ — د• عبد السلام عبد العزيز فهمى :

تاريخ الدولة المغولية فى ايران — دار المعارف ١٩٨١م •

٧ — د• فؤاد عبد المعطى الصياد :

السلطان محمود غازان المغولى واعتناقه الاسلام — الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م — مكتبة الأنجلو •

٨ — د• فايد حماد عاشور :

العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى عهد الدولة المملوكية الأولى • دار المعارف ١٩٧٦م •

٩ — د• قاسم عبده قاسم :

دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى • دار المعارف — الطبعة الثانية ١٩٨٣م •

١٠ — د• محمد جمال الدين سرور :

دولة بنى قلاوون فى مصر — طبعة دار الفكر العربى •

Scanned with CamScanner

١١ ــ مصطفى طه بدر :

مغول ايران بين المسيحية والاسلام • طبعة دار الفكر العــربى •

١٢ ــ منى ابراهيم

السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك• رسالة ماجســـــتير غير منشورة ــ كلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ م •

١٣ ــ منير الخورى :

تاريخ حمص • القسم الثانى ــ نشر مطرانية حــمص الأرثوذكســية ٩١٩٨٤م •

Scanned with CamScanner

جـ — المراجع الأجنبية

1. Aziz Suryal Atiya,

The crusade in the Later Middle ages, London, 1938.

2. Barthold, V. V.,

Four studies on the history of Central Asia. Leiden 1958,

3. B. Spuler,

I. Les Mongols dans l'histoire, Paris 1961.

II. History of the Mongols based on eastern and western accounts of the thirteenth and fourteenth centuries, translated from German by Helga and Stuart Drummond — London 1972.

4. Blochet,

Moufazzal Ibn Abil-Fazail, Histoire des Sultans Mamlouks, arabe et francais, Introduction Par Blochet. Patrologia Orientalis Tome XII., XIV, XX, Paris, 1913 — 1928.

5. Browne,

A literary history of Persia, Vol. III, The Tartar dominion 1265-1502., Cambridge university Press, 1951.

6. Budge, K. T.,

The Monks of Kublal Khan emperor of China, London 1928.

7. Cambridge History of Iran, Vol. 5, The Seljuq and Mongol Periods, edited by J. A. Boyle The University Press, 1968.

Scanned with CamScanner

8. Cambridge Medieval History, Vol. IV, Part I, Byzantium and its neighbours, edited by J. M. Hussey - Cambridge 1966.

9. D. Ayalon,

I. The Great Yasa of Chingiz Khan, in «Studia Islamica» Tome XXXIV, 1971, XXXVI, 1972, XXXVIII 1973.

II. The system of Payment in Mamluk military Society, in « Journal of Economic and Social History of the Orient », Vol. I, part I, III, 1958.

10. Goiten,

The main Industries of the Mediterranean Area as reflected in the records of the Cairo Geniza in « JESHO » Vol: IV 1961.

11. Grousset,

L'empire des steppes, Paris 1948.

12. Fischel, W.J.

The spice trade in Mamluk Egypt, in «JESHO » Vol. I, 1958.

13. H. Rabie

The financial system of Egypt, A.H., 564-741/A.D. 1169-1341, Oxford 1972.

14. Howorth,

History of the Mongols, Part III, The Mongols of Persia- London 1888.

Scanned with CamScanner

15. J. Barckhausen,

L'Empire jaune de Genghis Khan, Paris 1942.

16. Lucien, Bouvat,

L'empire Mongole, Paris 1927.

17. M. Prawdin,

The Mongol empire, its rise and Legacy, London 1967.

18. Mounira C.R.,

Une grande crise à la fin de XIII siècle en Egypte, in « JESHO » Vol. XXVI, Part III, 1983

19. Petri, Desmaisons ;

Histoire des Mongols et des Tatares par Aboul-Ghazi Behadour Khan, Amsterdam 1970.

20. Phillips, E. D.,

The Mongols. London 1969.

21. Sheila S. Blair,

The Coins of the Later II Ilkhanids in «JESHO » Vol. XXVI, Part III, 1983.

22. Smith, j.m.,

Mongol manpower and Persian Population, in « JESHO » Vol. XVIII, 1975.

23. Stanley, Lane Poole,

A History of Egypt in the middle ages, London 1936.

Scanned with CamScanner

24. Sykes, Percy,

A History of Persia, Vol. I, II, London, 1969.

25. Wiet, G.

Histoire de la nation Egyptienne, Tome IV, l'Egypte Arabe.

26. William F., Tucker,

Natural disasters and the peasantry in Mameluk Egypte, in « JESHO », Vol. XXIV, part II, 1981.

مختصرات

Camb. Hist. = Cambridge History.

JESHO= Journal of the economic and social history of the orient

P. O. = Patrologia Orientalis

S.I = Studia Islamica

Scanned with CamScanner

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٧٤٣٣

الترقيم الدولى ٠ — ١٤٢ ٠ — ٠٤ — ١٩٧٧

Scanned with CamScanner